


# ما رَواهُ النّقَلَة مِن أخبارِ الأكَلَة

جمع وإعداد

أ.د. أحمد بن علي القَرْني

١٤٤٢ هـ

النشْرةُ الأولى

جمادى الأولى ١٤٤٢ هـ

لِلتَّواصُلِ مَعَ الـمُؤَلِّفِ

على البَريدِ الشَّبَكيِّ

DAL1388@gmail.com




بسم الله الرحمن الرحيم

## مُقَدِّمَةُ السِّلْسِلَة

الحمدُ للهِ الذي جعلَ الزَّمانَ مُدَّكرًا لِـمَنْ تأمَّل، وحَفَّهُ بسُـنَنٍ لا تَتَغيرُ البَتَّةَ ولا تَتَبدَّل. والصلاةُ والسـلامُ على النبِّـي الخاتَـمِ الأوَّل، وعلى آلِـهِ وصحبِهِ ومَنْ سارَ على نَهجِهِم ولمْ يَتَحوَّل.

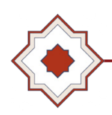
أمَّا بعدُ؛

فإنَّ التأريخَ عِلمٌ عظيمُ الشأْن، جَمُّ الفوائد، كثيرُ اللطائفِ والطرائف، مَليءٌ بالعِبَرِ والعِظَات. وللهِ دَرُّ القائلِ:

اِقْـرَأِ التَّارِيـخَ إِذْ فيـهِ العِبَـرْ ... ضَلَّ قَوْمٌ لَيْسَ يَدْرُونَ الـخَبَرْ
وَتَأَمَّـلْ كيـفَ أفْنَـى مُلْكَهُـمْ ... مَـنْ عَلى الـمُلْـكِ تولَّـى وَقَهَرْ

وهـو مَهْيَعٌ لاحِب، ومَنـارٌ جاذِب، للباحثينَ والدارسـينَ من جميعِ المشارِب.

ولقد أحسـنَ العلَّامةُ ابنُ خَلْدون إذْ قال في وصفـهِ: «فَنُّ التّاريخ من الفنون الّتي تتداوله الأممُ والأجيال، وتُشدُّ إليه الرّكائبُ والرِّحال، وتسمو إلى معرفته السُّـوقةُ والأغفال، وتتنافسُ فيه الملوكُ والأقْيَال، وتتساوى في فَهمِـه العلماءُ والجُهّال؛ إذْ هو في ظاهره لا يزيد على أخبارٍ عن الأيّامِ والدّول، والسّـوابقِ من القُرون الأُوَل، تنمو فيها الأقوال، وتُضرَبُ فيها الأمثال، وتُطرَفُ بها الأنديةُ إذا غَصَّها الاحتفال، وتُؤدِّي لنا شأنَ الخليقةِ كيفَ تقلّبتْ بها الأحوال، واتّسعَ للدُّولِ فيها النِّطاقُ والمجال، وعَمَروا



الأرضَ حتّى نادى بهم الارتحال، وحانَ منهم الزّوال، وفي باطنِه نظرٌ وتحقيق، وتعليلٌ للكائناتِ ومبادئِها دقيق، وعِلمٌ بكيفيّاتِ الوقائع وأسبابِها عميق، فهو لذلك أصيلٌ في الحِكْمةِ عريق، وجديرٌ بأن يُعدَّ في علومِها وخَليق»(١).

**وقد استرعى انتباهي** أثناءَ قراءاتِ الجَرْدِ والتقْمِيشِ - مُذْ ثلاثينَ عامًا أو تزيدُ وحتى اليومِ - خبايا في زوايا التاريخ، فيها نوعُ لَطافةٍ وطَرافةٍ، ولا تَخلو معَ ذلك من فائدةٍ وعِبْرةٍ، فكنتُ أَقتنصُ ما ألقاهُ من تلك الخبايا، حتى تحصَّلَ لي منها - بفضلِ اللهِ ومَنِّهِ - الجَمُّ الغفيرُ، والجَمْعُ الكثيرُ. وقد آنَ الأوانُ لبَثِّها ونَثِّها.

**فإنْ تَحجَّجَ علينا مُتحَجِّجٌ** بقِلَّةِ جدوى هذه المواضيعِ! تَحجَّجْنا عليه بقولِ شيخِ البيان، الجاحظِ أبي عثمان، في رسالتِه «مُفاخرةِ الجَواري والغِلْمان»: «إنّ لكل نوعٍ من العلم أهلًا يَقصِدونَه ويُؤْثِرونَه، وأصنافُ العلمِ لا تُحصَى، منها الجَزْلُ ومنها السَّخيفُ(٢). وإذا كان مَوضعُ الحديث على أنّه مُضْحِكٌ ومُلْهٍ، وداخلٌ في باب حَدِّ المَزْح، فأُبدلتِ السَّخافةُ بالجزالة، انقلبَ عن جهتِه، وصار الحديثُ الذي وُضِعَ على أنْ يَسُرَّ النفوسَ يَكْرُبُها ويَغُمُّها.

(١) تاريخ ابن خلدون (١/ ٦).

(٢) يعني الخفيفَ اللطيفَ. ومنه: ثَوبٌ سَخِيفٌ: أيْ رقيقُ النسْجِ. **وانظر**: تهذيب اللغة (٧/ ٨٦)، وشمس العُلوم ودواء كلام العرب من الكُلوم (٥/ ٣٠٢٠)، وتاج العروس (٢٣/ ٤٢٢).

ومَـنْ كان صاحبَ عِلمٍ مُمَرَّنًا مُوقَّحًا، إلْفَ تفكيرٍ وتنقيبٍ ودراسـةٍ، وحِلْـفَ تبيُّـنٍ، وكان ذلـك عادةً لـه، لم يَضِـرْهُ النَّظرُ في كلِّ فـنٍّ من الجِدِّ والهزْل؛ ليَخرجَ بذلك من شَكْلٍ إلى شَكْل؛ فإنَّ الأسماعَ قد تَمَلُّ الأصواتَ الـمُطْرِبةَ، والأوتارَ الفَصِيحةَ، والأغانيَ الحسنةَ، إذا طال ذلك عليها.

وقـد رُوي عـن أبي الـدّرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: «**إنِّي لأسـتجمُّ نفسـي ببعض الباطل مخافةَ أنْ أَحملَ عليها من الحقِّ ما يُمِلُّها**». وقد رُوي عن علـي بن أبي طالـبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: «**العِلمُ أكثرُ مـن أنْ يُحصَى، فخُذوا من كلِّ شيءٍ أحسنَه**». ورُوي عن الشَّعبيِّ أنه قال: «**إنّ القلوبَ تَـمَلُّ كما تَـمَلُّ الأبدانُ، فابْتغُوا لها طَرائفَ الحِكْمَة**»[(١)].

**وإنّني مِن وراءِ كلامه أقول:** إنَّ من العِلمِ صُلْبًا ومُلَحًا، وهذا الـمَهْيَعُ من مُلَحِ العِلمِ لا من صُلْبِه كما لا يَخفى![(٢)].

ولقـد تأمّلتُ مـا صنَّفه علماءُ الأمةِ على مَـرِّ العُصور، فوجدتُـهم لم يتركوا شـاذَّةً ولا فاذَّةً من صُلْبِ العلـمِ ولا مُلَحِهِ، إلَّا وألَّفوا فيها الكتبَ والرسائلَ الكثيرةَ![(٣)]؛ ولذا قال شيخُ الإسلام: «**وقد أوعبتِ الأمةُ في كلِّ**

---

(١) الرسائل للجاحظ (٢/ ٩١ - ٩٢).
(٢) قـال الشـاطبيُّ: «**الـمُلَحُ**: هي التي تَستحسـنُها العقولُ، وتَسـتملحُها النفـوسُ؛ إذْ ليس يَصحبُها مُنفِّرٌ، ولا هي مـمَّا تُعادي العلوم». الموافقات (١/ ١٢١).
(٣) من أراد أنْ يتحقَّق ذلك، فعليه بمطالعة كتاب: «**معجم الموضوعات المطروقة في التأليف الإسـلامي**» للأستاذ/ عبد الله الـحِبْشي. كما أنني قد ذكرتُ في كتابي «**التأصيل العلمي**» - (ص/ ٣٢٤) فما بعد من النشرة الإلكترونية - أعاجيبَ من هذا القبيل، فلْيرجعْ إليهما من شاء.



فنٍّ من فنونِ العلمِ إيعابًا»[1].

**وبعدُ:**

فهذه حَدائقُ أحْداق، وثَمـراتُ أوراق، وأبْكارُ أفْكار، وخَبايا زَوايا، ومَوائـدُ فَوائـد، وأطْـواءُ كُتُـب، اجتمـع لديَّ منهـا أضابيرُ وجُـذَاذَاتٌ؛ وأَضاميمُ ومَلَفَّاتٌ، بلغتْ حَدَّ النّصاب، وحالتْ عليها الأحوالُ! فوجبتْ فيها زكاةُ الإتحافِ والإلطاف، وحُقَّ فيها حَقُّ الإفادةِ والإجمام!

أُهديهـا لدَوْحةِ الكُتّـاب، ورَوْضةِ الألبّاءِ، ومُتَنَـزّهِ الألحاظِ، بأجلى المعـاني وأنقى الألفـاظِ. مَمْهـورةً برَشَـحَاتِ الـمِداد، وذِمـامِ الأقلامِ، ودَفَقَاتِ الخَطَراتِ، ومَنائحِ القَرائح.

فيهـا فَرائدُ خَرائـدُ، وفَوائدُ زَوائدُ، وأَوابدُ شَـوارِدُ، وأَخائـرُ ذَخائرٍ، ونَفَائسُ أَنفاسٍ، وزُلالُ لآلٍ.

كشفتُ فيها عن مُخبَّـئاتٍ من العِلم مَطْمُورة، وأبرزتُ فيها قُراضاتٍ من الإبريز مَنثورة؛ مُتَّبعًا فيها خِطَّةَ حَصْرِ الشّارِدِ، ورَدِّ الآبِدِ، ولَقْطِ النَّقْطِ؛ فإنّ ما كُتِبَ قَرّ، وما حُفظ فَرّ، وقديمًا قيل:

والْتقـطِ اللّـذّةَ حيـثُ أمكنـتْ فإنمـا اللّـذّاتُ في الدّنيـا لُقَـطْ!

وأيُّ لذّةٍ تُداني لذّةَ العِلمِ!

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٦٥).

بَـيْدَ أنّ وُكْدِي من هذه السلسةِ ما قاله أبو بكر محمّدُ بنُ داود الظّاهريّ البغداديّ عن غرضه من تأليف كتابه «الزُّهَرَة»[1]: «وأكثرُ غَرضِنا من هذا الكتابِ أنْ نذكرَ ما تُوقعُه المشاكَلةُ، وما تُوجِبُه الطّبائعُ المتعادِلةُ؛ فإذا جمعْنا بين المفترقات، وألّفنا بين الأشياء المتنافيات، كان العارُ لاحقًا لنا بقضائنا على أنفسنا».

وأولُ هذه السلسلة: كتابُ «ما رواه النقَلَة من أخبارِ الأكَلَة»، وسيتلوه بإذنِ اللهِ ما شاكَلَ وشابَه.

وباللهِ تعالى التوفيق.



(١) (١/ ٤١).



# مُقَدِّمَةُ الكتابِ

**الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وأصلّي وأسـلّم على نبيِّهِ الأمين، وعلى آلِهِ وصحبِهِ والتابعين، ومَنْ تبعهمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدين.**

**أمَّا بعدُ؛**

فإنّ طبائعَ الناس في النَّهَم والتَّهَمُّم بالأشياء مختلفةٌ متفاوتةٌ!

**فِمنهـم** مَنْ نُهْمَتُه مَصروفَةٌ لطلب العلم. ومِنهـم مَنْ نُهْمَتُه مَصروفَةٌ لجمـع الكتـب. ومِنهم مَنْ نُهْمَتُـه مَصروفَةٌ لتحصيل المـال. ومِنهم مَنْ نُهْمَتُـه مصروفةٌ للسـفر والضَّـرْب في الأرض. ومِنهم مَـنْ نُهْمَتُه في كثرة المناكِح ... وهَلمَّ جَرًّا.

**ومِن الناس** مَنْ نُهْمَتُه في المآكِل والمشارِب!! فتجده قد ابتُلِيَ بحبِّ المآكِلِ والمشارِب والتوسُّعِ في ذلك، حتى إنه لَيَزْدَرِدُ - وَحْدَه - كمّيّاتٍ كبيرةً من الطعام والشراب تكفي الفِئامَ من الناس!! وهم الذين عُرِفوا في التاريخ بـ **(الأَكَلَة)**، أي: كثيرو الأكْل!

**وقـد ألّف فيهم** أبو الحسـن علـيُّ بنُ محمد المدائنـيُّ البصريُّ (ت ٢٢٥ هـ) كتابًا سـمّاه «**أخبار الأَكَلَة**»(١)، ولم أقـفْ عليه، ولعلّه في عِداد المفقود. لكنْ لم نُعدَمْ بعضَ النُّقولات عنه هنا وهناك في المصادر التالية.

(١) **انظـر**: معجم الأدباء (٤/ ١٨٥٨)، وسـير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٠٢)، وتاريخ الإسـلام (١٦/ ٢٩١).

وقــال الخطيبُ البغــداديُّ عن الإمــام المحدِّث الناقِد أبي الحســن الدارَقطنــي (ت ٣٨٥ هـ): «قال لي الأزهــريُّ: كان الدارَقطنيُّ ذكيًّا، إذا ذُوكِرَ شــيئًا من العلم - أيَّ نوعٍ كانَ - وُجِدَ عنده منه نصيبٌ وافرٌ، ولقد حدّثني محمدُ بنُ طلحة النعالي، أنه حضر مع أبي الحســن في دعوةٍ عند بعض الناس ليلةً، فجرى شــيءٌ من ذِكْر الأَكَلَة، فاندفع أبو الحسن يُورِد أخبارَ الأَكَلَة وحكاياتِهم ونوادرَهم، حتى قطع ليلتَه أو أكثرَها بذلك!»[١].

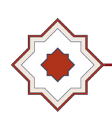
وذُكــر أنَّ الخليفــةَ العباســيَّ المعتصــمَ كان بالجَوْسَــق[٢] يومـًا مع نُدَمَائـه - وقـد عـزم علـى الاصطبـاح، وأمـر كلَّ واحدٍ منهـم أن يَطبخ قِـدْراً - إذْ بَصُر بسـلامةَ غلامِ أحمـدَ بن أبي دُؤاد، فقال: هـذا غلامُ ابن أبـي دُؤاد يتعرَّف خبرَنا، والسـاعةَ يـأتي فيقول: فلانٌ الهاشـميُّ، وفلانٌ القرشيُّ، وفلانٌ الأنصاريُّ، وفلانٌ العربيُّ! فيُعطِّلنا بحوائجه عما عزمْنا عليه، وأنا أُشـهِدكم أني لا أقضي اليومَ له حاجةً، فلم يكن بين قوله وبين اسـتئذان الأتباع لأبي عبد الله (ابن أبي دُؤاد) إلا هُنيهَةً، فقال لجلسـائه: كيف ترون قولي؟! قالوا: فلا تأذنْ له، قال: سُوءًا لكم، حُمَّى سنةٍ أهْوَنُ عَلـيَّ من ذلـك، ودخل، فما هو إلا أن سـلّم وجلس وتكلّم حتى أسْـفَرَ وجهُ المعتصم وضحكتْ إليه جوارحُه.

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٤٨٧).

**وانظر**: تاريخ دمشـق (٤٣/ ١٠١)، وسـير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٥٤)، وتاريخ الإسلام (٢٧/ ١٠٣)، وتذكرة الحفاظ (٣/ ١٣٣).

(٢) **الجَوْسَق**: الحِصْن والقَصْر. وهو دخيلٌ معرَّبٌ، وأصلُه كُوشَك بالفارسيّة. **انظر**: تهذيب اللغة (٨/ ٢٤٤)، والصَّحاح (٤/ ١٤٥٤).



ثـم قال له: يـا أبا عبد الله، قد طبـخ كلُّ واحدٍ من هـؤلاء قِدْرًا، وقد جعلنـاك حَكَمًـا في طبخهـا، قـال: فلْتُحضَرْ، ثـم آكلُ، ثم أحكـمُ بعلم! فحُمِلـتْ إليه القُدُورُ ووُضعتْ بين يديه، فجعـل يأكل من أول قِدْرٍ أكلًا تامًـا، فقال له المعتصم: هذا ظلمٌ، قال: وكيف ذلك؟ قال: لأني أراك قد أمعنتَ في هذا اللون، وسـتحكم لصاحبه، قال: يا أمير المؤمنين عليَّ أنْ آكلَ مـن هذه القُدُور كلِّها كما أكلتُ من هذا القِدْر! فتبسَّـم له المعتصمُ وقال له: شأنُك إذًا، فأكل كما قال، ثم قال: أمّا هذه فقد أحْسَنَ طابخُها إذْ أكثرَ فُلْفُلَها وأقلَّ كَمُّونَها، وأمّا هذه فقد أجاد طابخُها إذْ أكثرَ خَلّها وأقلّ زَيتَهَا، وأمّا هذه فقـد طيَّبها طابخُها باعتدال توابلها، وأمّا هذه فقد حَذِق مَنْ عَمِلها بقلّة مائها وكثرة مَرَقها، حتى وصف القُدُورَ كلَّها بصفاتٍ سُرَّ أهلُها بها، ثم أكل مع القوم كما أكلوا أنْظَفَ أكْلٍ وأحسـنَه! مرةً يحدِّثهم بأخبـار الأَكَلَـةِ في صدر الإسـلام: معاوية بن أبي سـفيان، وعبيد اللّه بن زيـاد، والحجّاج بن يوسـف، وسـليمان بن عبد الملك، ومـرةً يحدِّثهم عن أَكَلَة دهره مثل: مَيسـرة التَّمّـار[1]، ودَوْرَق القصَّاب، وحاتم الكيَّال، وإسحاق الحمامي.

فلما رُفعتْ الموائدُ قال له المعتصمُ: أَلَك حاجةٌ يا أبا عبد الله. قال: نعـم يا أمير المؤمنين، قال: اذكرْها؛ فإن أصحابنا يريدون أن يتشـاغلوا، قال: نعم يا أمير المؤمنين، رجلٌ من أهلك وَطئِه الدهرُ فغيَّر حالَه وخشَّن معيشـتَه، قال: ومَنْ هو؟ قال: سـليمان بن عبد اللّه النوفلي، قال: قَدِّرْ له

(١) كذا في المصادر، والمشهورُ ميسرة التراَّس كما سيأتي، فلعلّه لقبٌ آخرُ له.

ما يُصلحه، قال: خمسينَ ألف درهم، قال: أنفذتُ ذلك له، قال: وحاجةٌ أخرى، قال: وما هي؟ قال: ضِيَاعُ إبراهيم بن المعتمر تردُّهَا له، قال: قد فعلتُ، قال: وحاجةٌ أخرى، قال: قد فعلتُ، قال: فواللّه ما خرج حتى سأل ثلاثَ عشرةَ حاجَةً لا يردُّه عن شيءٍ منها! حتى قام خطيبًا فقال في خطبته: يا أمير المؤمنين، عمّرك الله طويلًا، فبعمرك تُخْصِب جناتُ رعيّتك، ويَلين عيشُهم، وتُثمِر أموالُهم، ولا زلتَ مُمَتَّعًا بالسلامة، مَحْبُوًّا بالكرامة، مرفوعًا عنك حوادثُ الأيام وغِيَرُها، ثم انصرف.

فقال المعتصمُ: هذا والله يُتَزَيَّن بمثله، ويُبتهَج بقُرْبه، ويَعدِل ألوفًا من جِنسه، أما رأيتُم كيف دخل؟ وكيف سلّم؟ وكيف تكلّم؟ وكيف أكل؟ وكيف وصف القُدُورَ، ثم انبسط في الحديث؟ وكيف طاب به أكلُنا؟ ما يَرُدُّ هذا عن حاجةٍ إلا لئيمُ الأصل خبيثُ الفرع! واللّه لو سألني في مجلسي هذا ما قيمتُه عشرةُ آلاف ألف درهم (عشرة ملايين!) ما رَددْتُه عنها، وأنا أعلم أنه يُكسِبُني بها في الدنيا حمدًا، وفي الآخرة ثوابًا!»[(١)].

**ونظراً لطرافة الموضوع**؛ فقد جمعتُ في هذا القِرْطاسِ أسماءَ من وقفتُ عليه من أولئك (الأَكَلَة)، وذكرتُ فيه طَرَفًا من أخبارهم وعجائبهم في هذا الباب، وجعلتُه في ثلاثة فصولٍ، وسمّيتُه: **«ما رواه النَّقَلَة من أخبار الأَكَلَة»**، ولم أذكرْ فيه مِن أسماء الأَكَلَة إلّا مَنْ نُصَّ على مقدار أكْله فحسْب! وربّما استطردتُ قليلًا فذكرتُ شيئًا من أحوالِ المُتَرجَم، وليس لي فيه إلا التقميشُ والنقلُ والترتيبُ، وفي فصله الأول

---

(١) مروج الذهب (٤/ ٩٧ – ٩٨)، وشرح مقامات الحريري للشريشي (١/ ٤٢٨).



مباحثُ حسنةٌ لطيفةٌ.

**وفي ظنّي أنّي بكتابي هذا قد:**

رَوَّحتُ فيه عن ذَوي الأكْراشِ	الضاربينَ الخَمْسَ في الكِباشِ!
بِذِكْرِ مَنْ قد وُصِفوا بـ (الأكَلَهْ)	كما رواهُ العلماءُ النَّقَلَهْ
وغَرَضي هنا هو المفاكَهَهْ	لا الاقْتِدا بهم ولا المشَابَهَهْ!
فإنّ بيتَ الدَّاءِ في الأمعاءِ	وكثرةُ الطعامِ أصلُ الداءِ
فاحذَرْ من الإسرافِ في الطعامِ	فإنه مَجْلَبَةُ الأسْقامِ!
وكلُّ شيءٍ زادَ عن حدودِه	فإنه يَخرجُ عن مَقصودِه
فالقَصْدُ في كلِّ الأُمورِ أحسَنُ	والناسُ منهمْ ظالمٌ ومُحْسِنُ!

**وبالله تعالى التوفيق.**

❋❋❋

وكتب

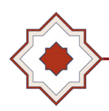
أحمد بن علي القرني

طابة

١٤٤٢ هـ

# الفصلُ الأولُ

# مُقَدِّمَاتٌ مُمَهِّدَاتٌ



# المبحثُ الأولُ

## الأَكَلَةُ في اللغةِ والمأثُورِ من الكَلِم

### يُطلق على الأَكُول في اللغةِ إطلاقاتٌ كثيرةٌ، فمن ذلك:

- تقول العربُ في الرجل الأكُول: إنه بَرَمٌ قَرُونٌ.

والبَـرَم: هـو الـذي يـأكل مـع الجماعـة ولا يجعـل (يدفع) شـيئًا. والقَرُون: الذي يأكل تمرتين تمرتين ويأكلُ أصحابُه تمرةً تمرةً. وقد نهى النبيُّ ﷺ عن القِران[(١)].

- ويُقال: رجلٌ رَغيبُ الجَوف، إذا كان أكولا[(٢)].

- ويقولون في الرجل إذا كان نهمًا أكولًا: جعل بطنَه إصطبلا[(٣)].

- وتقول العربُ للرجل إذا كان أَكولاً: الجِنْعِيظ[(٤)].

- ويُقال: رجلٌ جَرُوزٌ، إذا كان أكولا[(٥)].

- والبُلَعَةُ والزُّرَدَةُ: الإنسانُ الأكولُ. ورجلٌ مُتَبَلِّعٌ، إذا كان أكولا[(٦)].

---

(١) **انظر**: العقد الفريد (٦/ ٣٠٠).
(٢) شرح السنة: للبغوي (١٣/ ١٤).
(٣) الأمثال المولَّدة: للخوارزمي (ص: ٢١٩).
(٤) لسان العرب (٧/ ٤٣٩).
(٥) معاني القرآن: للفراء (٢/ ٣٣٣)، ومعاني القرآن: للنحّاس (٥/ ٣١٢).
(٦) العين (٢/ ١٥١).

- ويُقال: رجلٌ مُقرِضِبٌ وقَراضِبٌ وقَرْضابٌ، إذا كان أكولا[1].

- ويُقال: رجلٌ مَسْحُوتُ المعِدة، إذا كان أكولًا لا يُلْفَى أبدًا إلا جائعًا. وإنما قيل للرِّشْوة: «السُّحْت»، تشبيهًا بذلك، كأنَّ بالمسترْشي من الشَّرَه إلى أخذ ما يُعطاه من ذلك، مثل الذي بالمسحُوت الـمَعِدَة من الشَّرَه إلى الطعام[2].

وقد خَصَّصَ العلّامةُ الثعالبيُّ الفصلَ الثانيَ عشرَ من كتابه البديع: «**فقه اللغة وسرّ العربية**»[3]: لتفصيلِ أوصافِ الأَكَلَة وترتيبِها، نقلًا عن أئمة اللغة، **فقال:**

«إِذَا كَانَ الرَّجُلُ حَرِيصاً عَلَى الأكْلِ فَهُوَ **نَهِمٌ وَشَرِهٌ**.

فإذا زَادَ حِرْصُهُ وَجَوْدَةُ أَكْلِهِ فَهُوَ **جَشِعٌ**.

فإذا كَانَ لَا يَزَالُ قَرِماً إِلَى اللَّحْمِ وَهُوَ مَعَ ذَلك أَكولٌ فَهُوَ **جَعِمٌ**.

فإذا كان يتتبّع الأطعمةَ بِحِرْصٍ وَنَهَمٍ فَهُوَ **لَعْوَسٌ ولَحْوَسٌ**.

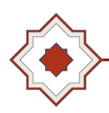
فإذا كَانَ رَغِيبَ البَطْنِ كَثِيرَ الأَكْلِ فَهُوَ **عَيْصُومٌ**، عَنْ أبي عَمْرٍو.

فإذا كَانَ أَكُولاً عَظِيمَ اللَّقْمِ واسعَ الحُنْجُورِ فَهُوَ **هَبَلَعٌ**، عَنِ اللَّيْثِ.

(١) الإمتاع والمؤانسة (ص: ٣٣٥).

(٢) جامع البيان (١٠/ ٣٢٤)، وتهذيب الآثار (مسند عمر): للطبري (١/ ١٤٠)، والتفسير البسيط: للواحدي (٧/ ٣٨٣).

(٣) (ص: ١١٠ - ١١١).



فإذَا كَانَ مَع شِدَّةِ أَكْلِه غَليظ الجسْم فَهُوَ **جَعْظَرِيٌّ**.

فإذا كانَ يأكُل أَكْلَ الحُوتِ المُلْتَقِمِ فهُوَ **هِلْقَامَةٌ وتِلْقامَةٌ وجُرَاضِمٌ**، عَنِ الأصْمَعِيِّ وأبي زَيدٍ وغيرِهِمَا.

فإذا كَانَ كَثِيرَ الأكْلِ مِنْ طَعَام غيرِهِ فَهُوَ **مُجَلِّحٌ**، عن أبي عمرٍو.

فإذا كان لا يُبْقِي ولا يَذَرُ مِنَ الطَّعَام فَهُوَ **قَحْطِيٌّ**، وهوَ مِنْ كَلامِ الحاضِرَةِ دُونَ البَادِيَةِ. قالَ الأزْهَرِيُّ: أَظُنُّه نُسِبَ إلىَ التَّقَحُّطِ لِكَثْرَةِ أكْلِهِ كأنَّه نَجا مَن القَحْطِ.

فإذا كَانَ يُعظِّمُ اللُّقَمَ لِيُسَابِقَ في الأكْلِ فَهُوَ **مُدَهْبِلٌ**، عَنْ ثَعلبٍ، عَنِ ابْن الأعْرابي.

فإذا كَانَ لا يَزالُ جائِعاً أو يُرِي أَنَّهُ جائعٌ فَهُوَ **مُسْتَجِيعٌ وشَحَذَانُ وَلَهِمٌ**.

فإذا كَانَ يَتَشَمَّمُ الطَّعامَ حِرْصاً عَلَيْهِ فَهُوَ **أَرْشَمُ**.

فإذَا كَانَ شَهْوَانَ شَرِهاً حَرِيصاً فَهُوَ **لَعْمَظٌ ولُعْمُوظٌ**، عَنْ أبي زَيدٍ والفَرّاءِ.

فإذا دَخَلَ على القَوْم وهم يَطْعَمُونَ ولَمْ يُدْعَ فَهُوَ **وَارِشٌ**.

فإذا دَخَلَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ يَشْرَبُونَ ولم يُدْعَ فَهُوَ **وَاغِلٌ**.

فإذا جاء مَعَ الضَّيْفِ فَهُوَ **ضَيْفَنٌ**. وقد ظَرُفَ أبو الفَتْحِ البُسْتِيُّ في قولِهِ:

**يا ضَيْفَنَا مَا كُنْتَ إِلا ضَيْفَنا!»**.

- **وذَكَرَ في** «سِحْر البلاغة وسِرِّ البراعة» [1] أوصافَ الأكَلَة في الأمثال والتشبيهات، **فقال في فصل: ذِكْرِ النَّهِمِ الأَكُولِ**:

"شيطانٌ معْدته رَجيم، وسُلطانُه ظَلُوم. هو آكَلُ من النارِ، وأشْرَبُ من الرمْلِ. كأنَّ في أمعائِهِ مُعاويَة. يـأكلُ أكلَ الحُوتِ الـمُلتَقِم، والثعبانِ الـمُلتَهِم، والليثِ الهاصِر، والعُقابِ الكاسِر. لو أكلَ الفيلَ لما كفاه، ولو شَربَ النيلَ لما رَواه. يَجُوبُ جوبَ البلاد، حتى يقعَ على جَفْنةِ جَوَاد. يقولُ بالقِصَاع، لا بالمِصَاع. يرى ركوبَ البريد، في حُضور الثريد. أصابعُه ألزمُ للشِّواءِ من سَفُّود. أناملُه كالشبَكَة، في صيدِ السمَكَة. يَستكثرُ من الجُوارِشَات الـمِنْقَدَةِ للسَّدَد، الـمُقَوِّيةِ للمِعَد، الـمُشهِّية للطعام، الـمُسهِّلة لسُبُل الانهضام. إذ هو في تناولها كالكاتبِ الذي يَقُطُّ أقلامَه، والجُنديِّ الذي يَصْقُلُ حُسامَه. تُسافرُ يدُهُ على الخِوَان، وتُسْفرُ بينَ الألوان، وتأخذُ وُجوهَ الرُّغفَان، وتَرعَى أرضَ الجيران. لـمَّا عَكَفْنا على الخِوَان، أسرعَ في الرُّغْفَان، وكَرَعَ في الجِفَان، وفَقَأَ أعينَ الألوان!

- **كما ذكر بدرُ الدين الغَزِّي (ت ٩٨٤ هـ)** في كتابه اللطيف: «**آداب المؤاكلة**» العيوبَ التي ينبغي اجتنابُها في الأكل، حيثُ قال في مقدمته الوجيزة: «هذه جملةٌ من العيوب التي مَنْ عَلِمها كان خبيرًا بآداب المؤاكلة، وعِدَّتُها أحدٌ وثمانون عيبًا حسبما نقلناه مفرّقًا، والله الموفّق».

ثم سَرَدَها ....

(١) (ص: ٣٩ – ٤٠).



**ومنها**: المقَطِّع، والمبَعْبِع، والمفَرْقِع، والدَّفَّاع، واللّطَّاع، والطُّفَيْلي[1]، والمرنِّخ، والممَعْلِق، والمرشِّش، واللفَّاف، والغَصَّاص!

**ثـم ختم الكتـابَ بقوله**: «هـذا آخرُ مـا حَضَرَنا في ذلـك من معايب الأكل؛ فالعاقلُ يجتنب ذلك طاقته».

❋❋❋

(١) **مـن اللطائف التـي ذكرها في مادة الطُّفيلـي قولُه**: «وممـا يُحكَى من نـوادر الطفيلية من اصطلاحاتهم في أسـماء الأطعمة، أن الخبز اسـمه (جابر)، والسـفرة (بسـاط الرحمة)، والقِدْر (أمّ الخير)، والزبادي (إخوان الصفا)، والأطعمة (قوت القلوب)، والرزّ (الشيخ الظهيـر)، والمضيـرة (قاضـي القضاة)، والرشْـتا بالعـدس (عبد الرحيـم)، والخروف المشـوي المعـذب (ابـن الشـهيد)، والدجاجة (أمّ حفـص)، والفراريـج (بنات نعش) ......» آداب المؤاكلة (ص: ٣٢).

# المبحثُ الثاني

## احذرْ بَطْنَك!

شــهوةُ البطن من أعظم الشــهوات، وإذا لـم يضبطْها اللبيبُ فإنها قد تُورِثُـه حُزْنًا شـديدًا وغَمًّا أكيـدًا؛ فقد أُهبطَ آدمُ وحوّاءُ من الجنّة بسـبب أكْلَةٍ!

قــال الثّعلبيُّ فيما حكاه عن إبراهيم بن أدهم، أنّه كان يقول: «أورثتْنا تلك الأكْلَةُ حُزْنًا طويلًا»[(١)].

وقــال الغزَّالــيُّ: «أعظـمُ المهلكات لابن آدم شــهوةُ البطــن»[(٢)]، فبِها

(١) كنز الدُّرر وجامع الغُرر (٢/ ٥٢).

(٢) التحقيقُ: أنَّ الأكلَ على مراتب:

- فرضٌ: وهو قدرُ ما يندفع به الهلاكُ ويمكن الصلاةُ معه قائمًا.
- ومباحٌ: وهو قدرُ ما زاد على قدر الكفاية إلى الشِّبَع.
- وحرامٌ: وهو الأكلُ فوق الشِّبَع، إلا في موضعين:

أحدهما: وهو الأكلُ بنية الصوم غدًا.

والثاني: الأكلُ مع الضيف فوق الشِّـبَع؛ لئلا يُمسـكَ الضيفُ عن الأكل حياءً؛ لأن إساءةَ القِرى مذمومةٌ.

ولا يجـوز للإنسـان الرياضـةُ بتقليـل الأكل حتـى يَضعـفَ عـن أداء العبـادة؛ لقولـه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «المؤمنُ القويُّ خيرٌ من المؤمنِ الضعيفِ».

فإنْ ترك الأكلَ والشـربَ فقد عصى؛ لأن من امتنع عـن أكل الميتة عند المخمصة حتى مات يكون عاصيًا، فما ظنك بمن ترك الحلالَ حتى مات بالمجاعة؟!

ومنه يُعلم حرمةُ ما يفعله بعض جهلة الصوفية من الرياضة بترك الأكل حتى يضعفَ عن أشغاله وعبادته! ويعتقد أن ذلك قربةٌ!! =



أُخـرِج آدمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وحوّاءُ من دار القرار إلـى دار الذلّ والافتقار؛ إذْ نُهيا عن الشجرة فغلبتْهما شهواتُهما حتى أكلا منها، فبدتْ لهما سوآتُهما»[(١)].

وهلـك عبدُ الله بن خَطَل بسـبب بطنه! ففي صحيـح البخاري[(٢)] أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عَامَ الْفَتْحِ وَعَلَى رَأْسِهِ الْمِغْفَرُ، فَلَمَّا نَزَعَهُ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنَّ ابْنَ خَطَلٍ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَقَالَ: «اقْتُلُوهُ».

قال الحافظُ ابنُ حجر: «السببُ في قتل ابن خَطَل وعدمِ دخوله في قوله: «مَنْ دخلَ المسجدَ فهو آمنٌ»، ما روى ابنُ إسحاق في «المغازي»: حدثني عبدُ الله بن أبي بكر وغيرُه، أنَّ رسولَ الله ﷺ حين دخل مكةَ قال: «لا يُقتَلُ أحدٌ إلّا مَنْ قاتَلَ» إلا نفرًا سمّاهم، فقال: «اقتُلوهمْ وإنْ وجدتُّموهم تحت أستارِ الكعبةِ»، منهم عبدُ الله بن خَطَل وعبدُ الله بنُ سـعد، وإنما أمر بقتل ابـن خَطَل؛ لأنه كان مُسـلمًا فبعثه رسـولُ الله ﷺ مُصَدِّقًـا[(٣)]، وبعث معه

= وقد سـئل الفُضيل بـن عياض عمّن يـترك الطيّبات من الحـوّارى واللّحم والخبيص للزهد، فقال: «وما أكلُ الخبيص! ليتك تأكل وتتقي الله، إن الله لا يَكره أن تأكل الحلالَ إذا اتقيـت الحرام. انظر كيف برُّك بوالديك، وكيف صِلتك للرحم، وكيف عطفك على الجـار، وكيف رحمتك للمسـكين، وكيـف كظمك للغيظ، وكيف عفـوك عن ظلمك، وكيف إحسـانك إلى من أسـاء إليك، وكيف صبرك واحتمالك للأذى. أنت إلى أحكام هذا أحوج منك إلى ترك الخبيص!!».

**انظر**: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (٣/ ٢٠٦)، وغمز عيون البصائر في شـرح الأشباه والنظائر (١/ ١٠١).

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٨٠).

(٢) الطبعة الأميرية (٣/ ١٧ ح ١٨٤٦).

(٣) **المُصَدِّق**: هو الساعي لجمع الزكاة.

رجلًا من الأنصار، وكان معه مولىً يخدمه وكان مُسلمًا، فنزل منزلًا، فأمر المولى أن يذبحَ تيسًا ويصنع له طعامًا، فنام واستيقظ ولم يصنعْ له شيئًا، فعدا عليه فقتله! ثم ارتدَّ مشركًا! وكانت له قَيْنتان تغنِّيان بهجاء رسول الله ﷺ!»[(١)].

**ولذا يقول الحسنُ البصريُّ:** «ترفَّعوا عن بعض الأمر؛ فإن الرجلَ ليأكل الأَكْلَةَ، ويَدخل المدخلَ، ويَجلس المجلسَ بغير قلبه، فيذهب دِينُه وهو لا يشعر»[(٢)].

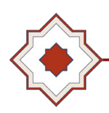
وجاء أنّ **شَريكَ بنَ عبد الله النخَعي** دخل يومًا على المهدي فقال له: لابدّ أن تُجيبني إلى خصلةٍ من ثلاث خصالٍ، قال: وما هنَّ يا أمير المؤمنين؟ قال: إما أن تليَ القضاءَ، أو تُحدِّثَ ولدي وتعلِّمهم، أو تأكلَ عندي أَكْلةً! - وذلك قبل أن يليَ القضاء -، فأفْكَرَ ساعةً ثم قال: الأَكْلةُ أخفُّها على نفسي، فأجلسه، وتقدّم إلى الطبّاخ أن يُصْلِحَ له ألوانًا من المخّ المعقود بالسكّر الطَّبَرْزَذ[(٣)] والعسل وغير ذلك، فعَمل ذلك وقدّمه إليه فأكل، فلما فرغ من الأكل قال له الطبّاخ: والله يا أمير المؤمنين ليس يُفلح الشيخُ بعد هذه الأَكْلَة أبداً! قال الفضلُ بن الربيع: فحدَّثهم واللهِ

---

(١) فتح الباري (٤/ ٦١).

(٢) آداب الحسن البصري: لابن الجوزي (ص: ٤٨).

(٣) **الطَّبَرْزَذُ:** نوعٌ من أنواع السُّكَّر يقال له: الأبْلُوجُ. وَبِهِ سُمِّيَ نَوْعٌ مِنْ التَّمْرِ لِحَلَاوَتِهِ. وهو فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ. قال داود الأنطاكي: الطَّبَرْزَذُ من السُّكَّرِ والعسل ما طُبِخَ بعُشْرِهِ من اللَّبَنِ الحليبِ حتّى يَنْعَقِدَ. **انظر:** المحكم والمحيط الأعظم (٩/ ١٢٣)، وتذكرة أُولي الألباب (١/ ٢٢٩)، والمصباح المنير (٢/ ٣٦٨).



شَريكُ بعد ذلك، وعلَّم أولادَهم، وولي القضاءَ لهم![1].

بل قال الغزَّاليُّ: «البطنُ على التحقيق يَنبوعُ الشهوات، ومنبت الأدواء والآفات؛ إذْ يتبعها شهوةُ الفرج وشدّةُ الشَّبَق إلى المنكوحات، ثم تتبع شهوةَ الطعام والنكاح شدّةُ الرغبة في الجاه والمال اللذيْن هما وسيلةٌ إلى التوسُّع في المنكوحات والمطعومات، ثم يتبع استكثارَ المال والجاه أنواعُ الرُّعونات وضروبُ المنافسات والمحاسدات، ثم يتولّد بينهما آفةُ الرياء وغائلةُ التفاخر والتكاثر والكبرياء، ثم يتداعى ذلك إلى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء، ثم يُفضي ذلك بصاحبه إلى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء!

وكلُّ ذلك ثمرةُ إهمال المَعِدة وما يتولَّد منها من بَطَر الشِّبَع والامتلاء. ولو ذَلَّل العبدُ نفسَه بالجوع[2]، وضيَّق به مجاري الشيطان، لأذعنت لطاعة الله عَزَّوَجَلَّ، ولم تسلك سبيلَ البطر والطغيان، ولم ينجرَّ به ذلك إلى الانهماك في الدنيا، وإيثار العاجلة على العُقْبى، ولم يتكالب كلَّ

(١) وفيات الأعيان (٢/ ٤٦٥). وانظر: الوافي بالوفيات (١٦/ ٨٧).
لطيفة: قال أحمد بن عثمان بن حليم الأودي: أنا أبي قال: «كان شريكُ القاضي لا يجلس للحكم حتى يتغدَّى ويشرب أربعةَ أرطالٍ نبيذًا، ثم يصلي ركعتين، ثم يُخرج رُقعةً، فينظر فيها، ثم يدعو بالخصوم. وقيل لابنه عن الرقعة، فأخرجها إلينا فإذا فيها: يا شريك، اذكر الصراطَ وحِدَّتَه، يا شريك، اذكر الموقفَ بين يديْ الله تعالى». تاريخ الإسلام (١١/ ١٧٣).

(٢) تنبيه: التعبُّد لله بالصيام الذي هو مَظِنّةُ الجوع مشروعٌ، أمّا التعبُّد لله بالجوع المجرّد بدون صيامٍ فليس من الدين في شيءٍ؛ بل هو من تخاليط الصوفية! فليُتنبّه.

هذا التكالب على الدنيا»[١].

**وقال أيضًا:** «مَن تغلبُه شهوةُ البطن لو خُيِّر بين الهريسة والحَلْواء، وبين فعلِ جميلٍ يَقهر به الأعداء، ويُفرِح به الأصدقاء، لآثر الهريسةَ والحلواءَ! وهذا كلُّه لفقد المعنى الذي بوجوده يصير الجاهُ محبوبًا، ووجود المعنى الذي بوجوده يصير الطعام لذيذًا، وذلك لمن استرقّته صفاتُ البهائم والسباع، ولم تظهر فيه صفاتُ الملائكة التي لا يُناسبها ولا يَلَذُّها إلا القُرْبُ من رب العالمين، ولا يُؤلمها إلا البُعْدُ والحِجاب»[٢].

**وقال ابنُ القيِّم:** «وأما فُضُولُ الطعام فهو داعٍ إلى أنواعٍ كثيرةٍ من الشرّ، فإنه يحرّك الجوارح إلى المعاصي، ويُثّقلها عن الطاعات، وحسبك بهذيْن شرًّا، فكم من معصيةٍ جلبها الشِّبَعُ وفُضولُ الطعام، وكم من طاعةٍ حال دونها، فمن وُقي شرَّ بطنه فقد وُقي شرًّا عظيمًا، والشيطان أعظم ما يتحكَّم من الإنسان إذا ملأ بطنَه من الطعام، ولهذا جاء في بعض الآثار «**ضيِّقوا مجاري الشيطانِ بالصومِ**»، وقال النبي ﷺ: «**ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًّا من بطنٍ**».

ولو لم يكن في الامتلاء من الطعام إلا أنه يدعو إلى الغفلة عن ذكر الله ساعةً واحدةً، جثم عليه الشيطان، ووعده ومنّاه وشهّاه وهام به في كل وادٍ؛ فإن النفس إذا شبعت تحرّكتْ وجالتْ وطافتْ على أبواب

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٨٠).
(٢) المصدر نفسه (٤/ ٢٥).



الشهوات، وإذا جاعتْ سكنتْ وخشعتْ وذلَّتْ»[١].

وقال القرطبيُّ: «قيل: شـهواتُ الطعام سـبعٌ: شـهوةُ الطبع، وشهوةُ النفس، وشـهوةُ العين، وشـهوةُ الفم، وشـهوةُ الأذن، وشـهوةُ الأنف، وشهوةُ الجوع، وهي الضرورية التي يأكل بها المؤمنُ»[٢].

ومِن شعر عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قولُه:

إذا المرءُ لَمْ يَتْرُكْ طعامًا يُحِبُّهُ ... ولَمْ يَنْهَ قَلْبًا غَاوِيًا حَيْثُ يَمَّمَا

قَضَى وَطَـرًا منهُ وغـادَرَ سُبَّةً ... إذا ذُكِرَتْ أَمْثَالُهَا تَمْلَأُ الْفَمَا[٣]

**وقد كانت العربُ تُعَيِّر بكثرة الأكل، وتَعِيب بالجَشَع والشَّرَه والنَّهَم**[٤].

قـال الخطّابيُّ: «كان قِلَّـةُ الرُّزْءِ مـن الطعام، والاجْتِـزاءُ بالعُلْقة من ذلك، والاكتفاءُ باليسـير منـه، في مذهب الحَمْد عندهـم (يعني العرب) والثناء والمدْح به، مُضاهيًا لمذهبِهم في المدح بالقوَّة على النكاح وكثرة النَّسـل والـوِلادِ. وعلى العكس منـه أن يكون رَغيبًا أكـولًا! ولذلك قال الأعشى يمدح رجلًا:

تكفيـهِ حُـزّةُ فِلْـذٍ إنْ ألَـمَّ بهـا ... من الشِّواءِ ويُرْوي شُرْبَه الغُمَرُ

وفي الحديث الذي ترويه عائشـةُ في وصْف النساء أزواجَهن: «**قالت**

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٧٣).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥/ ٣٤٣).

(٣) البداية والنهاية (١١/ ١٦٠).

(٤) شرح نهج البلاغة (١٨/ ٣٩٨).

**المرأةُ: ابنُ أبي زَرْع، فما ابنُ أبي زَرْع: مَضْجِعُه كمسَلِّ شَطْبَة، وتُشْبِعُه ذِراعُ الجَفْرة»** تمدحه بقلّة الطُّعْم كما ترى، وقال الأعشى في قصيدته يمدح هذا الرجلَ ويصفه بقلّة الشَّرَه على الطعام، وحُسْن الصبر عنه، والطّيِّ دونه:

**لا يتأرَّى لما في القِدْر يَرقُبُه ... ولا يَعَضُّ على شُرسُوفِه الصَّفَرُ**

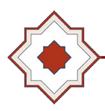
يريد: أنه لا يَعتريه الجوعُ حتى يَجد مسَّه ويتأذَّى به.

**وقال مُتمّمُ بن نُويرة:**

**لقد كفَّنَ المِنهالُ تحتَ ردائِه ... فتىً غير مِبْطَانِ العَشيَّات أرْوعا**

فهذا مذهبهم في هذا الشأن ومعانيهم في هذا الباب.

فتأمل كيف اختار اللهُ لنبيه ﷺ في كل واحدٍ من الأمرين، فجمع له الفضائلَ التي يزداد من أجلها في نفوسهم جلالةً وفي عيونهم قدْرًا وفخامةً، ومن النَّقائص التي يُزدرى بها أهلُها نزاهةً وبراءةً. ومعلومٌ من شأنه ﷺ أنه كان يطوي الأيامَ ولا يأكلُ ويصومُها، فيواصلُ بالليل، ويُقِلُّ الطُّعْمَ إذا أكل، وكان يتجوَّع حتى يتهشَّم من الخَواء بطنُه، فينحني لذلك عمودُ ظهره، فيشدُّ الحجرَ على بطنه ويَعمِدُه به. كلُّ ذلك مشهورٌ عنه بأخبار التواتر التي لا يَعرِض الوهْمُ فيها، ولا يجوز الغلَطُ عليها، هذا إلى ما بعثه اللهُ به من الشريعة الحنيفيّة الهادمة لما كان عليه الأمرُ في دين النصارى من التبتُّل والانقطاع عن النكاح وهِجران النساء، فدعا إلى



الـمُناكحة والمواصلة وحَضَّ عليهما»[١].

وقال ابنُ دُريد: العربُ تُعيِّر بكثرة الأكل، وأنشد:

لستُ بأكّالٍ كأكلِ العبدِ ... ولا بنوّامٍ كنومِ الفهدِ[٢]

وقال بعضُ بني نهد:

إذا لم أَزُرْ إلا لآكلَ أكلةً ... فلا رَفعتْ كفّيْ إليّ طعامي

فما أكلةٌ إنْ نلتُها بغنيمةٍ ... ولا جَوعةٌ إنْ جُعتُها بغرامِ[٣]

وقال ابنُ حجر: «كان العقلاءُ في الجاهلية والإسلام يتمدَّحون بقلة الأكل ويذمُّون كثرةَ الأكل، كما في حديث أم زرع أنها قالت في معرِض المدح لابن أبي زرع: «**ويُشبعُه ذِراعُ الجَفْرة**»، وقال حاتمُ الطائيُّ:

فإنكَ إنْ أعطيتَ بطنَك سُؤْلَه ... وفَرْجَكَ نالا مُنتهى الذمِّ أجمَعَا»[٤]

وكان عبدُ الله بنُ حسين بن عاصم الثقفيّ القرطبيّ يلقّبُ بالزِّير؛ لكثرة أكله!! حتى قال له أحدُهم يُعيِّره: يا غليظُ (يعني سَمين)، مَا أَرَقَّكَ![٥].

(١) أعلام الحديث (٣/ ٢٠١٠ - ٢٠١٤).
(٢) التذكرة الحمدونية (٩/ ٩٥).
(٣) المصدر نفسه.
(٤) فتح الباري (٩/ ٥٤٠).
وانظر: سمط اللآلي في شرح أمالي القالي (١/ ٨٢٣)، ونشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب (ص: ٥٤٦).
(٥) المغرب في حُلى المغرب (١/ ١٠١) بتصرف.

ومن أمثالِ العرب في ذلك: «رُبَّ أكْلةٍ مَنعتْ أكْلات». لأنّها تُمرِض فيُحتَمَى من غيرها![1].

وقد أخذ معناهُ الشاعرُ فقال:

وَرُبّــةَ أَكْـلَـةٍ منعـتْ أخاها ... بـلـذّةِ ساعةٍ أكَـلَاتِ دَهْـرِ![2]

وأخذه الحريـريُّ فقال في «المقامات»: «رُبَّ أكْلَـةٍ هاضَتِ الآكِل. وحرَمَتْهُ مآكِل»[3].

وأخذه أبو بكر بنُ العلّاف الضرير فقال في سِنَّوْرِه الذى رثاه:

يـا مَـنْ لـذيـذُ الـفِـراخِ أوقـعَه ... وَيْـحـكَ هـلّا قَـنِعـتَ بـالـغُـدَدِ!

أردتَ أنْ تـأكـلَ الـفِـراخَ ولا ... يأكُلُكَ الدهـرُ أكـلَ مُضطَهِدِ

لا بــاركَ اللهُ في الـطـعـامِ إذا ... كـان هَـلاكُ النفوسِ في الـمِعَدِ

كـم أكـلـةٍ خَـامَـرتْ حَشَـا شَـرِهٍ ... فأخرجتْ رُوحَه من الجسَدِ![4]

وقد صدقوا فيما قالوا؛ فقد مات قومٌ بسبب التُّخْمة! كما سيأتي.

❊❊❊

(١) انظر: الأمثال: للهاشمي (١/ ١٣٦)، والمستقصى في أمثال العرب (٢/ ٩٣)، وزهر الأكَم في الأمثال والحكم (٣/ ٣٧).

(٢) المستقصى في أمثال العرب (٢/ ٩٣).

(٣) المقامات الأدبية (ص: ٤٩).

(٤) وفيات الأعيان (٢/ ١١٠).



# المبحثُ الثالث

## حَسْبُ ابنِ آدمَ لُقَيْمات!

لا شــكَّ أنّ الطعامَ من الحاجات الضروريّة لبني الإنســان وغيرِهم، لكنَّ من جملة المذموم فيه الإسرافُ في تناوله.

**والأصــلُ في ذمّ ذلك** قولُــه تعالــى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف: ٣١].

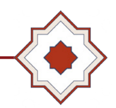
**قــال العلّامــةُ الســعديُّ:** «القاعدة الأربعــون: في دلالة القــرآن على أصول الطبّ.

**أصولُ الطبّ ثلاثةٌ**: حفظُ الصحة باستعمال الأمور النافعة، والحِمْيةُ عن الأمور الضارّة، ودفعُ ما يَعرِض للبدن من المؤذيات. ومسائلُ الطبّ كلُّها تدور على هذه القواعد[١].

وقــد نبّه القرآنُ عليهــا في قوله تعالى في حفظ الصحة ودفع المؤذي: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾، فأمر بالأكل والشرب اللذيْن لا تستقيم الأبدانُ إلا بهمــا، وأطلــق ذلك؛ ليدلَّ على أنّ المأكولَ والمشــروبَ بحســب ما يلائم الإنســانَ وينفعه في كل وقتٍ وحالٍ. ونهى عن الإســراف في ذلك، إمّا بالزيادة في كثرة المأكولات والمشــروبات، وإمّا في كيفيّتها بالتخليط في المطعوم والأوقات.

---

(١) وانظر: زاد المعاد (١/ ١٥٨)، و(٤/ ٦).



وهذا حِمْيةٌ عن كلّ ما يُؤذي الإنسان. فإذا كان القوتُ الضروريُّ من الطعام والشراب إذا صار بحالةٍ يتأذّى منه البدنُ ويتضرَّر مُنع منه، فكيف بغيره؟!»[١].

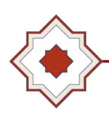
**وقال محمدُ بنُ الحسن الشيباني:** «السَّرَف فِي الطَّعَام أَنْوَاعٌ، فَمن ذلك الْأكلُ فوق الشِّبع؛ لقَوْله ﷺ: «**مَا مَلأ ابْنُ آدمَ وعَاءً شرًّا من الْبَطن، فَإِن كَانَ لَا بُدَّ، فثلثٌ للطعام، وَثلثٌ للشراب، وَثلثٌ للنَّفَس**» وقال النبيُّ ﷺ: «**يَكْفِي ابْنَ آدمَ لُقيماتٍ يُقمنَ بهَا صُلْبه، وَلَا يُلام على كفافٍ**». وَلأَنَّهُ إِنَّمَا يَأْكُل لِمَنْفَعَة لنَفسِه وَلَا مَنْفَعَة فِي الْأكل فَوق الشِّبَع، بل فِيهِ مضرَّةٌ، فَيكون ذَلِك بِمَنْزِلَة إِلْقَاء الطَّعَام فِي مَزْبلة أَو شرًّا مِنْهُ، وَلأَنَّ ما يزيد على مِقْدَار حَاجته من الطَّعَام فيه حقُّ غيره؛ فَإِنَّهُ يَسدُّ به جَوْعتَه إذا أوصله إليه بعوضٍ أَو بِغَيْر عوض، فَهُوَ فِي تنَاوله جَانٍ على حقِّ الْغَيْر وَذَلِكَ حرَامٌ، وَلِأَنَّ الْأكلَ فَوقَ الشِّبَع رُبمَا يُمرضه فَيكون ذَلِك كجراحته نَفسَه»[٢].

**وقال ابنُ الجوزي:** «ينبغي لـه أن يَرْفُقَ ببدنه، الذي هو راحلتُه، ولا يَنقُصَ من قُوْتِها، فتنقُصَ قُوّتُه. ولستُ آمُر بالشِّبَع الذي يُوجب الجُشَاءَ[٣]؛ إنما آمُر بالتوسُّط؛ فإنّ قُوَى الآدميّ كعينٍ جاريةٍ؛ كم فيها من

(١) القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن (ضمن مجموع مؤلفاتهـ) - نشر دار الميمان (٣/ ٤٧٤).

(٢) الكسب (ص: ٧٩).

(٣) **الْجُشَاءَ:** صَوْتٌ مِنْ رِيحٍ يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ عِنْدَ الشِّبَعِ. وَالتَّجَشُّؤُ تَكَلُّفُ ذَلِكَ. المغرب في ترتيب المعرب (ص: ٨٣).



منفعةٍ لصاحبها ولغيره»[١].

**كما جاء أنّ كثرةَ الأكل والشرب ليست من سِيما المؤمنين**، فعن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، عن النبي ﷺ قال: «**الْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ، وَالْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ**». أخرجه مسلم[٢].

وجاء عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أنه رأى مِسْكِينًا فَجَعَلَ يَضَعُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيَضَعُ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ: فَجَعَلَ يَأْكُلُ أَكْلًا كَثِيرًا، قَالَ: فَقَالَ: لَا يُدْخَلَنَّ هَذَا عَلَيَّ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**إِنَّ الْكَافِرَ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ**» متفق عليه، وهذا لفظُ مسلم[٣].

وفي لفظٍ عند البخاري[٤] بسنده عن نافع، قال: كَانَ ابْنُ عُمَرَ لَا يَأْكُلُ حَتَّى يُؤْتَى بِمِسْكِينٍ يَأْكُلُ مَعَهُ، فَأَدْخَلْتُ رَجُلًا يَأْكُلُ مَعَهُ، فَأَكَلَ كَثِيرًا، فَقَالَ: يَا نَافِعُ، لَا تُدْخِلْ هَذَا عَلَيَّ؛ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ**».

وأخرج البخاريُّ في صحيحه[٥] عن عمرو بن دينار، قال: «كَانَ أَبُو نَهِيكٍ رَجُلًا أَكُولًا، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْكَافِرَ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ**»، فَقَالَ: فَأَنَا أُومِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ!

---

(١) صيد الخاطر (ص: ٢٨٤).

(٢) صحيح مسلم (٣/ ١٦٣١ ح ٢٠٦٠).

(٣) المصدر نفسه (٣/ ١٦٣١).

(٤) صحيح البخاري (٧/ ٧١ ح ٥٣٩٣).

(٥) المصدر نفسه (٧/ ٧١ ح ٥٣٩٥).

**ومثلُه الشرابُ**، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ ضافَهُ ضَيْفٌ وَهُوَ كَافِرٌ، فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِشَاةٍ فَحُلِبَتْ، فَشَرِبَ حِلَابَهَا، ثُمَّ أُخْرَى فَشَرِبَهُ، ثُمَّ أُخْرَى فَشَرِبَهُ، حَتَّى شَرِبَ حِلَابَ سَبْعِ شِيَاهٍ، ثُمَّ إِنَّهُ أَصْبَحَ فَأَسْلَمَ، فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِشَاةٍ، فَشَرِبَ حِلَابَهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِأُخْرَى، فَلَمْ يَسْتَتِمَّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ يَشْرَبُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَشْرَبُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ**» أخرجه مسلم(١).

---

(١) صحيح مسلم (٣/ ١٦٣٢ ح ٢٠٦٣).

**فائدة: اختلف العلماءُ في معنى هذه الأحاديث:**

فقيل: ليس المرادُ به ظاهرَه، وإنما هو مثلٌ ضُرب للمؤمنِ وزهدِه في الدنيا والكافرِ وحرصِه عليها، فكأنَّ المؤمنَ لتقلّله من الدنيا يأكل في مِعىً واحدٍ، والكافرَ لشدة رغبته فيها واستكثاره منها يأكل في سبعة أمعاء، فليس المرادُ حقيقةَ الأمعاء ولا خصوصَ الأكل، وإنما المرادُ التقلُّلُ من الدنيا والاستكثارُ منها، فكأنَّه عبّر عن تناول الدنيا بالأكل، وعن أسباب ذلك بالأمعاء. ووجهُ العلاقة ظاهرٌ.

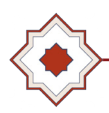
وقيل: المعنى أن المؤمنَ يأكل الحلالَ، والكافرُ يأكل الحرامَ، والحلالُ أقلُّ من الحرام في الوجود.

وقيل: المرادُ حَضُّ المؤمن على قلّة الأكل إذا علم أن كثرةَ الأكل صفةُ الكافر، فإن نفسَ المؤمن تنفر من الاتصاف بصفة الكافر.

وقيل: **بل هو على ظاهره، ثم اختلفوا في ذلك على أقوال:**

الأول: أنه ورد في شخصٍ بعينه، واللام عهدية لا جنسية. جزم بذلك ابنُ عبد البرّ، فقال: لا سبيل إلى حمله على العموم؛ لأن المشاهدةَ تدفعه، فكم من كافرٍ يكون أقلَّ أكلًا من مؤمنٍ وعكسُه، وكم من كافرٍ أسلم فلم يتغير مقدارُ أكله. وقد سبقه إلى ذلك الطحاويُّ في «مشكل الآثار».

وقد تُعُقِّب هذا الحملُ، بأن ابنَ عمر راوي الحديث فهم منه العمومَ، فلذلك منع الذي رآه يأكل كثيرًا من الدخول عليه، واحتج بالحديث. ثم كيف يتأتّى حملُه على شخصٍ بعينه مع أن الراجحَ تعدُّدُ الواقعة. =



ومِصداقُ هذا في كتاب الله، قولُ الحق جلّ وعزّ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ﴾ [محمد: ١٢].

وقال ابنُ أبي حاتم في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أبو الوليد، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرحمن بنُ

---

= الثاني: أن الحديثَ خرج مخرجَ الغالب وليست حقيقةُ العدد مرادةٌ. قالوا: وتخصيصُ السبعة للمبالغة في التكثير، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ﴾ [لقمان: ٢٧]، والمعنى: أن من شأن المؤمن التقلُّل من الأكل؛ لاشتغاله بأسباب العبادة، ولعلمه بأن مقصودَ الشرع من الأكل ما يَسُدُّ الجوعَ ويُمْسِكُ الرَّمَقَ، ويُعينُ على العبادة، ولخشيته أيضًا من حساب ما زاد على ذلك. والكافرُ بخلاف ذلك كلِّه، فإنه لا يقف مع مقصود الشرع، بل هو تابعٌ لشهوة نفسه، مسترسلٌ فيها، غيرُ خائفٍ من تبِعات الحرام، فصار أكلُ المؤمن لما ذكرته إذا نُسب إلى أكل الكافر كأنه بقدر السُّبْع منه.

الثالث: أن المراد بالمؤمن في هذا الحديث التامُّ الإيمان؛ لأن من حَسُنَ إسلامُه وكَمُلَ إيمانُه اشتغل فِكْرُه بما يصير إليه من الموت وما بعده، فيمنعُه شدةُ الخوف وكثرةُ الفِكْر والإشفاقُ على نفسه من استيفاء شهوته. وأما الكافرُ فمن شأنه الشَّرَهُ، فيأكل بالنَّهَم كما تأكل البهيمةُ، ولا يأكل بالمصلحة لِقيام البِنْية.

وقد ردَّ هذا الخطابيُّ وقال: قد ذُكر عن غير واحدٍ من أفاضل السلف الأكلُ الكثيرُ، فلم يكن ذلك نقصًا في إيمانهم.

الرابع: أن المرادَ أن المؤمن يُسمِّي اللهَ تعالى عند طعامه وشرابه، فلا يَشْرَكُه الشيطانُ، فيكفيه القليلُ. والكافرُ لا يُسمِّي فيَشْرَكُه الشيطانُ. وفي صحيح مسلمٍ في حديثٍ مرفوعٍ: «إنَّ الشيطانَ يَستحلُّ الطعامَ إن لَّم يُذكَرِ اسمُ اللهِ تعالى عليهِ».

الخامس: أن المؤمنَ يَقِلُّ حِرصُه على الطعام فيُبارَك له فيه وفي مأكله فيشبع من القليل، والكافرُ طامِحُ البصر إلى المأكل كالأنعام فلا يُشبعُه القليلُ.

السادس: أن المرادَ أن بعضَ المؤمنين يأكل في مِعًى واحدٍ، وأن أكثرَ الكفار يأكلون في سبعة أمعاء، ولا يلزم أن يكون كلُّ واحدٍ من السبعة مثل مِعَى المؤمن.

قال النووي: هو المختارُ.

وقيل غيرُ ذلك. انتهى ملخَّصًا من فتح الباري لابن حجر (٩/ ٥٣٨ - ٥٤٠).

أَبِـي الزنـاد، عَنْ صالـح مولى التوأمة، عَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُؤتَى بالرجل الأَكُول الشَّرُوب العَظيم، فيُوزَنُ بحبَّةٍ فَلا يَزِنُها» قَالَ: وقرأ: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾[١].

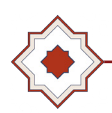
**وقـد وضع لنـا النبـيُّ** ﷺ ضابطًا مهمًّـا في المقدار المناسـب الذي ينبغي أن يلتزمه الإنسانُ عند تناول الطعام، فعن المقدام بن مَعْدي كَرِب الكِنْدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَا مَلأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَـرًّا مِنْ بَطْن، حَسْـبُ ابْـنِ آدَمَ أُكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَـإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَثُلُثُ طَعَامٍ، وَثُلُثُ شَرَابٍ، وَثُلُثُ لِنَفْسِهِ» أخرجه أحمد[٢].

ولفظُه عند النسـائي[٣] «مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَـرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ ابنِ آدَمَ لُقَيْمَـاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ غَلَبَتْهُ نَفْسُـهُ، فَثُلُثٌ طَعَامٌ، وَثُلُثٌ شَـرَابٌ، وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ».

ولفظُـه عند ابن ماجه[٤]: «مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَـرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْـبُ الْآدَمِيِّ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ ....» الحديث.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٩٣).
(٢) مسند أحمد (٢٨/ ٤٢٢ ح ١٧١٨٦).
والحديـث صحّحـه الترمـذيُّ وابنُ حبـان والذهبيُّ، وحسَّـنه ابنُ حجر في فتـح الباري (٩/ ٥٢٨)، وصحّحـه الألبـاني في إرواء الغليـل (٧/ ٤١) رقم (١٩٨٣)، وفي سلسـلة الأحاديث الصحيحة (٥/ ٣٣٦) رقم (٢٢٦٥).
(٣) في السنن الكبرى – ط التأصيل – (٨/ ٦٣١) رقم (٦٩٤١).
(٤) السنن (٤/ ٤٤٨ ح ٣٣٤٨).



قال ابنُ رجب: «هذا الحديثُ أصلٌ جامعٌ لأصول الطب كُلِّها. وقد رُوي أنَّ ابنَ ماسَويْه الطبيبَ لمّا قرأ هذا الحديثَ في كتاب أبي خيثمة، قال: «لو استعملَ الناسُ هذه الكلمات، سَلِموا مِنَ الأمراض والأسقام، ولَتعطَّلت المارِسْتانات (المشافي) ودكاكين الصيادلة». وإنَّما قال هذا؛ لأنَّ أصلَ كلِّ داء التُّخَم[1]، كما قال بعضُهم: «أصلُ كُلِّ داءٍ البَرَدَةُ (التُّخْمة)»، ورُوي مرفوعًا ولا يصحُّ رفعُه[2].

وقال ابنُ قُدامة: «مقامُ العدل في الأكل رفعُ اليدين مع بقاء شيءٍ من الشهوة، ونهايةُ المقام الحسَن قولُه صلى الله عليه وآله وسلم: «**ثُلُثٌ لطعامِه، وثُلُثٌ لشرابِه، وثُلُثٌ لنفسِه**».

فالأكلُ في مقام العدل يُصِحُّ البدنَ ويَنفي المرضَ، وذلك أن لّا يتناول الطعامَ حتى يشتهيه، ثم يرفع يده وهو يشتهيه، والدوامُ على التقلُّل من الطعام يُضعِف القُوى، وقد قلَّل أقوامٌ مطاعمَهم حتى قصّروا

(١) **فائدة**: علاج التُّخْمَة هو شُرب العسل، كما وصفه النبيُّ ﷺ لذلك الذي استطلقَ بطنُه.
قال ابنُ القيّم: «الذي وصف له النبيُّ ﷺ العسلَ، كان استطلاقُ بطنه عن تُخمةٍ أصابته عن امتلاءٍ، فأمره بشرب العسل لدفع الفضول المجتمعة في نواحي المعدة والأمعاء، فإن العسل فيه جَلاءٌ ودفعٌ للفُضول، وكان قد أصاب المعدةَ أخلاطٌ لَزِجةٌ، تمنع استقرارَ الغذاء فيها للزوجتها، فإن المعدة لها خَمَلٌ كخَمَل القطيفة، فإذا عَلِقت بها الأخلاطُ اللَّزِجةُ، أفسدتْها وأفسدت الغذاء، فدواؤها بما يجلوها من تلك الأخلاط، والعسل جلاء، والعسل من أحسن ما عُولج به هذا الداءُ، لا سيما إن مُزج بالماء الحارّ».
زاد المعاد (٤/ ٣٢).
(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٦٨).

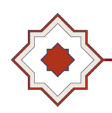
عـن الفرائض، وظنوا بجهلهم أن ذلك فضيلة، وليس كذلك، ومَن مدح الجوع، فإنما أشار إلى الحالة المتوسطة التي ذكرناها»[١].

وقـال ابنُ القيّم - وهو في صَدَد ذِكر علامـات تعظيم الأمر والنهي -: «ومِن علامـات تعظيم الأمر والنهي، أن لّا يسترسـلَ مع الرُّخصة إلى حدٍّ يكـون صاحبُـه جافيًا غيرَ مسـتقيمٍ على المنهج الوسـط .... ومِن هذا: أنّ الشِّـبَعَ في الأكل رُخصـةٌ غيرُ مُحرَّمـةٍ، فلا ينبغي أن يجفـوَ العبد فيها حتى يصلَ به الشِّـبَعُ إلى حَـدِّ التُّخْمة والامتلاء، فيتطلّبَ ما يُصـرِّف به الطعامَ، فيكونَ همّه بطنه قبل الأكل وبعده، بل ينبغي للعبد أن يجوعَ ويشـبعَ ويدعَ الطعـامَ وهو يشـتهيه، وميزانُ ذلك قـولُ النبي ﷺ: «ثلـثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنَفَسه». ولا يجعلِ الثلاثةَ الأثلاثَ كلَّها للطعام وحدَه!»[٢].

وقال ابنُ عُثيمين: «الأكلُ الكثيرُ غلطٌ في الشرع وفي الطب، أما الشرعُ فقال النبي ﷺ: «حَسْـبُ ابن آدم لُقيماتٌ يُقِمْنَ صُلْبه - لقيماتٌ للتصغير والتقليل - فإنْ كان لا محالةَ فثلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنَفَسه»، ولـو أنّ الإنسـان عَوَّد نفسَـه هـذه القاعدة مـن البداية لاسـتراح، وقلَّت التخمةُ عنده والسُّـمنةُ، وقلّ الكسـلُ، فهو يأكل الثلثَ، ويشـرب الثلثَ، ويدع الثلثَ، وإذا جاع أكلَ، ليس معناه: لازمٌ ألّا تأكلَ إلا الفطورَ والغداءَ والعشاءَ، أنت قَدِّرْ الثلثَ للطعام، والثلثَ للشراب، والثلثَ للنفَس، وإذا جعتَ فكُلْ، هذا إن كان لا محالةَ، وإلا فاللُّقيماتُ تكفيك.

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص: ١٦٣).
(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ١٣).



لكن -كما تعلمون- تعوَّدنا الآن أن الإنسـانَ يأكل حتى يشبعَ شِبَعًا كبيرًا، فتجده يكسـل ويسـترخي ويأتيه نـومٌ، وربما يـأكل أكلًا يعلم أنه يتأثّر ويتأذّى به، ويقول: نصبرُ -يعني: تصبر! لماذا تأكل؟- يقول شـيخُ الإسـلام: إذا كان الإنسـان يخشـى من أكله تأذِّيًا أو يَخشـى تُخْمَةً فإنه يَحرُمُ عليه الأكلُ»[(١)].

**ولذا يقول عُقبةُ الراسـبيُّ:** «دخلتُ على الحسن فوافيتُه يتغدّى خُبزًا ولحمًا، فقال: هلمَّ إلى طعام الأحرار، فقلتُ: أكلتُ، لا أستطيع أنْ آكلَ، فقال: سبحانَ الله، أوَيأكلُ المسلمُ حتى لا يستطيعَ أن يأكلَ؟!»[(٢)].

ودعـا عبدُ الملك بـنُ مروان رجلًا إلى الغداء، فقـال. ما فيّ فضلٌ يا أمير المؤمنين! قال: لا خيرَ في الرجل يأكل حتى لا يكون فيه فضلٌ![(٣)].

**أمّـا الحديثُ المنتشـرُ على ألسـنة الناس:** «نحن قـومٌ لا نأكلُ حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع»، فقد قال عنه الشيخُ الألبانيُّ رحمه الله تعالى: «لا أصلَ له»[(٤)].

❁❁❁

(١) لقاء الباب المفتوح. وأما كلام ابن تيمية فهو في مجموع الفتاوى (٢٥/ ٢٤٧).
(٢) الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ٢١٨).
(٣) العقد الفريد (٦/ ٣٠٤).
(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧/ ١٦٥١).

# المبحثُ الرابعُ

## هل يَعيشُ الإنسانُ ليأكلَ أمْ يأكلُ ليَعيشَ؟!

هذا سؤالٌ جدليٌّ شـهيرٌ، وقد وجدتُ أنَّ أقدمَ مَن سُئلَ عنه الطبيبُ الإغريقيُّ أبقـراط[١] (٤٦٠ – ٣٨٠ ق.م)، فقد قيل له: ما لَك تُقِلُّ الأكلَ جِدًّا؟ قال: إني إنما آكل لأحيا، وغيري يَحيا ليأكل![٢].

وتلاه جالينوسُ الطبيبُ اليونانيُّ المعروف (١٢٩-٢١٠ م) تقريبًا[٣].

---

(١) طبيبٌ إغريقيٌّ قديمٌ مشهورٌ، زاول الطبَّ في جزيرة كوس اليونانية. ظلَّ لمدةٍ طويلةٍ بعد موته، أكثرَ الأطباء شهرةً في الطب القديم.
وتأتي شهرتُه – على الأرجح – نتيجةَ ما يقرب من ٨٠ مؤلَّفًا طبيًا مجهولة المؤلف، صارت جزءًا من مكتبة الإسكندرية بعد عام ٢٠٠ قبل الميلاد تقريبًا. وقد نُسبت هذه الأعمال إلى أبقراط، وصارت تعرف بين الباحثين باسـم المجموعـة الأبقراطية الكاملة. ومع ذلك لا يمكن إثباتُ أن أيَّ مؤلَّفٍ من هذه المؤلفات الأبقراطية قد كتبه أبقراط بالفعل.
يُلقَّـب أبقراط بأبي الطب. وقد جاء هذا اللقبُ من كتابات جالينوس، واعتقد جالينوس أن حيـاة وخـبرة أبقراط تمثِّـل أفضلَ ما في الطب. فعلى سـبيل المثال، جـزم أبقراط في الرسـالة المنسـوبة إليه المسماة (طبيعة الإنسـان)، بأن المرض يسـبِّبه عدمُ اتزان أربعة أخلاط في الجسـم: الدم، والسـوداء، والصفراء، والبلغم. وسـاد هذا الاعتقادُ في جميع النظريات الخاصة بالمرض حتى أواخر القرن التاسـع عشـر. انظر: الموسـوعة العربية العالمية (١/ ٩٥).

(٢) العقد الفريد (٦/ ٣٠٣).

(٣) جالينوس طبيبٌ يونانيٌّ، من أشهر الأطباء المؤثّرين في تاريخ الطب.
ولـد جالينوس في برقامـوم (تدعى الآن بيرقاما، في تركيا)، وهـي من مدن الإمبراطورية الرومانية. وبدأ دراسة الطب في سن الرابعة عشرة من عمره. سافر جالينوس في عام (١٦١) أو (١٦٢م) إلـى روما، وهناك ألقى محاضرات في التشـريح، وعلم وظائف الأعضاء،=



فقد قيل له: إنك تُقِلُّ من الطّعام؛ قال: غرضي من الطّعام أنْ آكلَ لأحْيا، وغرضُ غيري من الطعام أنْ يَحيا ليأكل!(١).

**ومِن غُرَر كلام أبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي في فضل** الحِمْية من رسالةٍ له: «مِلاك الأمر الحِمْية. فإنه لا يكون قويَّ الحِمْيَة إلّا من يكون قويَّ الحَمِيَّة، ومَن غلَبَتْه شهوتُه على رأيه، شهد على نفسه بالبهيميّة، وانخلع من رِبْقة الإنسانية. **وحَقُّ العاقل أنْ يأكلَ ليعيشَ، لا أنْ يعيشَ ليأكلَ**. وكفى بالمرء عارًا أن يكون صريعَ مآكِلِه، وقتيلَ أناملِه، وأن يَجنيَ ببعضه على كُلِّه، ويُعينَ فرعَه على أصلِه. وكم من نعمةٍ أتلفتْ نفسَ حُرّ، وكم من أكلةٍ منعتْ أكلاتِ دهْر. وكم من حلاوةٍ تحتها مرارةُ الموت، وكم من عذوبةٍ تحتها بشاعةُ الفوت. وكم من شهوةٍ ذهبتْ بنفسٍ لا يَقوى بها العساكر، وقطعتْ جسدًا كانت تنبو عنه السيوفُ البواتر. وهدمتْ عُمرًا انهدمتْ به أعمار، وخربتْ بخرابه بيوتٌ بل ديارٌ وأمصار»(٢).

---

= وسرعان ما تمّ تعيينه طبيبًا لعائلة الإمبراطور الروماني، ماركوس أورليوس. وقد مكّنه هذا المنصب من أن يكتب، ويقوم بإجراء الأبحاث، ويسافر. وبحلول عام (٢٠٠م)، كان جالينوس قد كتب بحوثًا كثيرة في الطب وعلم وظائف الأعضاء.

واعتُبرتْ أفكارُه في علم وظائف الأعضاء مصدرًا موثوقًا به في أوروبا حتى سنة (١٥٠٠م). كما استمرت طرائقُه في علاج الأمراض، تفيد الأطباء بصورة جيدة حتى سنة (١٨٠٠م). انظر: الموسوعة العربية العالمية (٨/ ١٣٧).

(١) عيون الأخبار (٣/ ٢٧٢).

(٢) يتيمة الدهر (٤/ ٢٠٠).

**والحاصلُ** أنّ الذي لا هدفَ له في هذه الحياة إلّا المأكلُ والمشربُ، مبخوسُ الحظِّ، أعمى البصيرة، مُغرِقٌ في البهيميّة! ولذا قالت الحكماءُ: الأحمقُ يعيشُ ليأكلَ، والعاقلُ يأكلُ ليعيشَ!

**قال مالكُ بنُ دينار:** «ما ينبغي للمؤمن أن يكون بطنُه أكثرَ همِّه، وأن تكون شهوتُه هي الغالبةُ عليه»[(١)].

**وقال سلمةُ بنُ سعيد:** «إنْ كان الرجلُ ليُعيَّر بالبِطْنة كما يُعيَّر بالذنب يَعْمَلُه!»[(٢)].

**ولذا قال أبو جعفر المنصور** عن خلفاء بني أميّة: أما الوليدُ فكان مجنونًا، وأما سليمانُ فكان نَهِمًا همُّه بطنُه وفرجُه، ورجلُ القوم هشامٌ[(٣)].

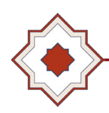
**وقال بعضُ الشعراء:**

هَمُّ الكريمِ كريمَ الفعلَ يَفعلُه ... وهَمُّ سَعْدٍ بما يُلْقِي إلى الـمَعِدَةْ![(٤)]

**والله يقول في حقّ الكفّار:** ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ [محمد:١٢]. أي: أنّ الكافرين يتمتّعون في دنياهم تمتّعَ بهيمة الأنعام، فيأكلون كما تأكل، ويعيشون كما تعيش، لا همّ لهم في الحياة إلا أن يَملئوا البطون! ويُشبِعوا الغرائز! ويُحقِّقوا النزَوَات! ويُحصِّلوا الملذّات!

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الجوع (ص: ٨٠).
(٢) المصدر نفسه (ص: ٧٣).
(٣) أنساب الأشراف (٨/ ١١٤).
(٤) عيون الأخبار (٣/ ٢٢٤).



**يقـول الشـيخُ عبـدُ المجيـد الزنـداني:** «جَهِـلَ الكفّـارُ الحكمةَ من خلقهم، فتاهوا في حيرةٍ بين سؤالين: هل نأكل لنعيش؟ أم نعيش لنأكل؟ ولكـنّ المسـلم يقول: إنّ ربه خلقه ليعمل وفق إرادتـه، وإنّ إرادةَ الله قد شـاءت أن يكون الإنسـانُ خليفةً لربه على أرضه، يسـتخلفها وفق هُدى ربـه. فالمؤمن يـأكل ليعيش، ليعمل في الأرض وفق هُـدى ربه، ليَرضى عنه، فيفوز بالجنة وينجو من النار»(١).



(١) توحيد الخالق (ص: ٩٣).



# المبحثُ الخامسُ

## البِطْنَة تُذْهبُ الفِطْنَة!

هذا أمرٌ قد عُلِم ببرهان الواقع، فليس له مِن دافع!

فالبِطْنةُ تُذْهِبُ الفِطْنةَ والتيقّظَ، وتُورِثُ الكسلَ والفُتورَ والبلادةَ، وغيرَ ذلك من الآفات!

خطب عمرُ بنُ الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يومًا، **فقال:** «إياكم والبِطْنَة، فإنها مَكْسَلَةٌ عن الصلاة، مؤذيةٌ للجسم. وعليكم بالقصْد في قُوتكم، فإنه أبعدُ من الأَشَر، وأصحُّ للبدن، وأقوى على العبادة. وإن امرءًا لن يهلك حتى يُؤثِر شهوتَه على دينه»[(١)].

**وقال معاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنّ البِطْنَة تَأْفِنُ الفِطْنَة».

**تَأْفِنُ:** أي تُنقص، ومنه رجلٌ مأفونٌ وأفينٌ: أي ناقصُ العقل[(٢)].

**وقال محمدُ بنُ واسع:** «مَنْ قَلَّ طُعْمُه فَهِم، وأفهَمَ، وصفا، ورقَّ، وإنَّ كَثرةَ الطَّعامِ ليُثقِل صاحبَه عن كثيرٍ مما يُريد»[(٣)].

**وقال عمرُ بنُ عبد العزيز:** «بُؤْسًا لِمَنْ كان بَطْنُهُ أكبرَ هَمِّه»[(٤)].

---

(١) بهجة المجالس وأُنس المجالس (٣/ ٧٣).

(٢) التذكرة الحمدونية (٩/ ٩٤).

(٣) الجوع لابن أبي الدنيا (ص: ٥٧).

(٤) المصدر نفسه (ص: ١٣٩).



وقال عمرو بن قيس الملائي: «إيّاكم والبِطْنَةَ؛ فإنها تُقسِّي القلبَ»[١].

وعن سفيان الثوري مثلُه[٢].

وقال مسلمةُ بنُ عبد الملك لملك الروم: ما تَعدّون الأحمقَ فيكم؟ قال: الذي يملأ بطنَه من كلّ ما وجد[٣].

وقال ابنُ الجوزي: «أما التوسُّعُ في المطاعم؛ فإنه سببُ النوم، والشِّبَعُ يُعمي القلب، ويُرَهِّلُ البدنَ ويُضْعِفُه»[٤].

وقال ابنُ رجب: «قال الحارثُ بن كَلَدَة طبيبُ العرب: الحِمْية رأسُ الدواء، والبِطنةُ رأسُ الداء. ورفعه بعضُهم، ولا يصحُّ.

وقال الحارثُ أيضًا: الذي قتل البَرِيَّة، وأهلك السباعَ في البَرِّيَّة، إدخالُ الطعام على الطعام قبل الانهضام.

وقال غيرُه: لو قيل لأهل القبور: ما كان سببُ آجالكم؟ قالوا: التُّخَمُ.

فهذا بعضُ منافع تقليلِ الغذاء، وتركِ التَّمَلِّي من الطَّعام بالنسبة إلى صلاح البدن وصحّته.

وأما منافِعُه بالنسبة إلى القلب وصلاحه، فإنَّ قلةَ الغذاء تُوجبُ رِقَّةَ القلب، وقوَّةَ الفهم، وانكسارَ النفس، وضعفَ الهوى والغضب، وكثرةُ

(١) الزهد للمعافى بن عمران الموصلي (ص: ٣٠٧).
(٢) حلية الأولياء (٧/ ٣٦).
(٣) العقد الفريد (٦/ ٢٩٨).
(٤) صيد الخاطر (ص: ٤٦٠).

الغذاء تُوجبُ ضِدَّ ذلك»[1].

**وربّما جلبت البطْنةُ السِّمَنَ،** وقد كانت «العربُ تمدحُ بالضُّمْر وتذمُّ بالسِّمَن، وتنسُب أهلَ النُّحول إلى الأدب والمعرفة، وأهلَ السِّمَن إلى الفَدامة وقلّة الفهم. وللفلاسفة والأطباء في ذلك قولٌ يُثبت ما ادّعت العربُ.

وزعموا أنّ مَن غلب عليه البَلْغمُ عَظُم جسمُه، وكثُر شحمُه ولحمُه، وقلَّ فهمُه، وطال سُباتُه، وانعقد لسانُه؛ لغلبةِ البَلْغم على قلبه، واحتواءِ الرطوبة على لُبّه. ومَن كان أغلبُ مزاجاته المِرَّةُ خَفّ جسمُه، وقلّ لحمُه، وذاب شحمُه، وحسُن ذهنُه، وصحَّ فهمُه؛ لأن النحولَ علامةُ المتفرِّسين، ودلالةُ المتوسِّمين، لا يكاد أنْ تُخطئَ فيه الفِراسة، ولا تكذب فيه العِيافة؛ لِما أخبرتُك من غَلَبَة أحد المِزاجيْن على صاحبه، وابتناء قراره في مركّبه.

وربما أنجبَ السِّمَنُ وخاب الهُزالُ، ولا يكون ذلك إلّا في الفَرْد الشاذّ من الرجال. ومن أمثال العرب في ذلك: البِطْنة تُذهِبُ الفِطْنة»[2].

**والطريقُ الأمثلُ لكسر شهوة البطن** هو أنّ مَن تعوّد استدامةَ الشِّبَع، فينبغي له أن يُقلِّل من مطعمه يسيرًا مع الزمان، إلى أن يقف على حدّ التوسّط، وخيرُ الأمور أوساطُها. فالأَوْلى تناول ما لا يمنع من العبادات،

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٦٨). **وانظر**: بقية كلامه فيه؛ فإنه نفيسٌ.
(٢) الموشَّى (ص: ٧٩).



ويكون سببًا لبقاء القوة، فلا يُحِسّ المتناولُ بجوعٍ ولا شبع، فحينئذ يَصِحُّ البدن، وتجتمع الهمّة، ويصفو الفِكْر، ومتى زاد في الأَكل أورثه كثرةَ النوم، وبلادةَ الذِّهن، وذلك بتكثير البُخار في الدماغ حتى يغطّي مكانَ الفِكْر، وموضعَ الذُّكْر، ويجلب أمراضًا أُخَر[(١)].

**أمّا الأَكَلَةُ فلم يُعجبْهم هذا،** بل ذمُّوا الحِمْيةَ وتقليلَ الطعام!!

**فقالوا:** الحِمْيةُ إحدى العِلّتيْن!

**وقالوا:** مَن احْتمى فهو على يقينٍ من المكروه، وفي شكٍّ من العافية!

**وقالوا:** الحِمْيةُ للصحيح ضارّةٌ، وللعليل نافعةٌ![(٢)].

**وقال شاعرُهم مُساورٌ الورّاقُ:**

ولقد كَلِفتُ بنعْتِ جَدْيٍ راضعٍ ... قدْ صُنتُه شهرينِ بينَ رِعاءِ
قد نالَ من لبنٍ كثيرٍ طيّبٍ ... حتى تفتّقَ من رِضاعِ الشّاءِ
من كلّ أحمرَ لا يَقِرُّ إذا ارتوى ... من بين رَقصٍ دائمٍ ونُزاءِ
مُتعكِّنُ الجنبيْن صافٍ لونُه ... عَبْلُ القوائمِ من غذاءِ رَخاءِ
فإذا مرضتُ فداوِني بلحومِها ... إني وجدتُ لحومهنَّ دَوائي!
ودعِ الطبيبَ ولا تثقْ بدوائِه ... ما حالفتْكَ رواضعُ الأجْداءِ

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص: ١٦٣) بتصرف.
(٢) العقد الفريد (٦/ ٣٠٣).

إنّ الطبيبَ إذا حباك بشَرْبةٍ ... تركتكَ بين مخافةٍ ورجاءِ
وإذا تنطَّع في دواءِ صديقِه ... لم يَعْدُ ما في جُؤنَةِ الرّقّاءِ
نَعَتَ الطبيبُ هَليلَجًا وبَليلَجًا ... ونعتُّ غيرَهما من الحلْواء![1]

وما تقدّم من النُّقول عن أهل العقول، رَدٌّ عليهم!

❊❊❊

---

(١) المصدر نفسه (٦/ ٢٩٧).



# المبحثُ السادسُ

## ومِن الأكلِ ما قَتَل!

**أجمعتِ الأطباءُ** على أنَّ رأسَ الداءِ كلِّه إدخالُ الطعامِ على الطعامِ، ولا سيّما اللحمُ! ولذا قالوا: **احذروا إدخالَ اللحمِ على اللحمِ؛ فإنه ربما قتل السباعَ في القَفْرِ!** وأكثرُ العِلل كلِّها إنما يتولَّد من فُضُول الطعام[١].

**ولذا قيل:**

توقَّ مدى الأيامِ ادخالَ مَطْعَمٍ ... على مَطْعَمٍ من قبلِ هَضْمِ المطاعِمِ

وكلُّ طعامٍ يَعْجَزُ السِّنُّ مَضْغَهُ ... فلا تَقْرَبَنْهُ فهْوَ شَرٌّ لطاعِمِ

ووفِّرْ على الجِسْمِ الدِّماءَ فإنَّها ... لقُوّةِ جِسْمِ المرءِ خيرُ الدعائِمِ[٢]

**واعلمْ** «أنَّ أكلَ المتخوم أو الأكلَ المفضي إلى تُخْمةٍ، سببٌ لمرضه وإفساد بدنه، وهو تضييعٌ للمال في غير فائدةٍ بل في مضرةٍ ... قال في «الغُنية»: وكثرةُ الأكل من حيث يُخاف منه التُّخْمةُ مكروهٌ»[٣].

**وقد قيل:** كفى بالمرءِ عارًا أن يكونَ صريعَ مآكِلِه، وقتيلَ أناملِه![٤].

(١) **انظر**: العقد الفريد (٦/ ٣٠٣).
(٢) المستطرف في كل فن مستظرف (٢/ ٥٦٦).
(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٣/ ١٩٥).
(٤) المستطرف (٢/ ٥٦٦).

وقال بعضُهم:

فَكَمْ أكْلَةٍ أكَلَتْ نفسَ حُرّ        وكَمْ أكْلَةٍ جَلَبَتْ كُلَّ ضُرّ![1]

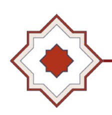
حضر أبو بكرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سُفرةَ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومعه ولدُه عبدُ الرحمن، فرآه معاويةُ يَلْقَم لَقْمًا شديدًا؛ فلما كان بالعشيّ راح إليه أبو بكرة، فقال له معاويةُ: ما فعل ابنُك التِّلْقامة؟ قال: اعتلَّ، قال: مثلُه لا يُعْدَم العِلّة![2].

وعن الحسن البصري أنه قيل لسمرة بن جندب: إن ابنَك أكل طعامًا كَظَّه[3] حتى كاد أن يقتلَه! قال: لو مات ما صليتُ عليه![4].

قال ابنُ تيمية: «يعني لأنه أعان على قتل نفسه، فيكون كقاتل نفسه»[5].

وقال أبو عثمان الثوري ينصح ابنَه: «أيْ بُنيَّ، عوِّدْ نفسَك الأَثَرَة، ومجاهدةَ الهوى والشهوة، ولا تنهش نَهشَ السباع، ولا تَخْضِم خَضْمَ البراذين، ولا تُدْمِنِ الأكلَ إدمانَ النِّعاج، ولا تَلْقم لَقْمَ الجمال؛ فإن الله جعلَك إنسانًا، فلا تجعل نفسَك بهيمةً. واحذر صَرْعَةَ الكِظَّة، وسَرَفَ

(١) المصدر نفسه.
(٢) عيون الأخبار (٣/ ٢٥١)، والعقد الفريد (٦/ ٢٩٩)، والبداية والنهاية (١١/ ٤٥٣).
(٣) **كَظَّه**: أي امْتَلأَ حتَّى مَا يُطيق النَّفَس! يقال: كَظَّهُ الطعامُ يَكُظُّهُ كَظًّا. وكَظَّني هذا الأمرُ، أي جَهَدَني من الكَرْب. **وفي لفظٍ**: «قيل لسمرة: ابنك بَشَمَ البارحة». والبَشَمُ هو: التُّخَمَة. **انظر**: جمهرة اللغة (١/ ٣٤٥)، والصحاح (٣/ ١١٧٨).
(٤) أخرج الأثرَ المعافى بن عمران في الزهد (ص:٣٠٨)، وابنُ الجعد في المسند (ص: ٤٦٣)، وابنُ أبي الدنيا في الجوع (ص:٦٨) وإصلاح المال (ص:١٠٥).
(٥) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢١٨). **وانظر**: منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٣٦).



البِطْنة، فقد قال بعضُ الحكماء: إذا كنتَ نَهِمًا فعُدّ نفسَك من الزَّمْنى. واعلم أن الشِّبَع داعيةُ البَشَم، والبَشَمُ داعيةُ السَّقَم، والسَّقَمُ داعيةُ الموت؛ ومن مات هذه الـمِيتة فقد مات مِيتةً لئيمةً؛ لأنه قاتلُ نفسه، وقاتلُ نفسه ألْأَمُ مِن قاتل غيره!»[(١)].

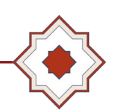
## وهناك مَن مات بالتُّخْمَة؛ بسبب كثرة الأكل!!

**فممّن مات بالتُّخْمَة** - فيما قيل - الخليفةُ الأمويُّ سليمانُ بنُ عبدالملك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد قال عنه أبو الحسن المدائني: أتاه - وهو بدابق - رجلٌ من النصارى كان منقطعًا إليه من قَبل الولاية، فقال له: هل أهديتَ لي شيئًا؟ قال: نعم، أهديتُ تِينًا وبَيضًا، فأتاه بزبيل[(٢)] مملوءٍ بيضًا مطبوخًا، وبزبيلٍ مملوءٍ تينًا، فجعل يُقشِّر البيضَ ويأكل بيضةً بتينة، حتى أتى على الزبيلين! ثم أتوه بقصعةٍ مملوءةٍ مُخًّا مخلوطًا بسكّرٍ، فأكل ذلك! فأُتخم، ومرض، فمات![(٣)].

**وممّن مات مُتخَمًا**؛ الـمُحَدِّثُ المشهورُ يحيى بنُ مَعين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

**قال محمد بن جرير الطبري:** خرج يحيى حاجًّا وكان أكُولًا. فحدثني أبو العباس أحمد بن شاه أنه كان في الرُّفقة التي فيها يحيى بن معين. فلما

(١) العقد الفريد (٦/ ٣٠٥). **وانظر**: البخلاء للجاحظ (ص: ١٤٧).
(٢) **الزَّبِيلُ**: هو الجِراب، وَهُوَ الزِّنْبيل، فَإِذا جَمعوا قَالُوا: زَنَابيل. وَقيل: الزِّنبيل خَطأ، وَإِنَّمَا هُوَ زَبِيل، وَجمعه زُبُل وزُبْلان. تهذيب اللغة (١٣/ ١٤٨).
(٣) أنساب الأشراف (٨/ ١١١)، وشرح نهج البلاغة (١٨/ ٣٩٩). وسيأتي في ترجمته.



صـاروا بفَيْد[١] أُهدي إلى يحيى بن معيـن فالُوذَجٌ[٢] لم يَنضِجْ، فقلتُ له: يا أبا زكريا لا تأكلْه، فإنا نخاف عليك. فلم يعبأْ بكلامنا وأكله، فما استقر في معدته حتى شكا وجعَ بطنه، واستطلق بطنُه، إلى أن وصلنا إلى المدينة ولا نُهـوضَ بـه، وتفاوضْنا في أمره، ولـم يكن لنا سـبيلٌ إلـى المقام عليه لأجـل الحجّ، ولـم نَـدْرِ فيما نعمل في أمره، فعزم بعضُنـا على القيام عليه وترْك الحجّ. وبِتنا ليلتَنا، فلم نُصبحْ حتى وصَّى ومات، فغسَّلناه ودفنَّاه[٣].

(١) **فَيْد**: بفتح الفاء وسكون المثناة تحت، وآخره دال مهملة. تقع جنوب حائل في السعودية، وهـي بلـد عامر، ولكنه كان أعمرَ منه اليوم حين كان يمر به طريقُ حاجِّ العراق، فقد كان محطةً من محطات ذلك الطريق خلال ١٣ قرنًا، حتى انقطع هذا الطريق في منتصف هذا القـرن أو بعـده - حوالي ١٣٦٣ هــ - وكان لها حِمى، وزارها مُوزل سـنة ١٣٣٥ هـ - وقال: إن عدد بيوتها ثلاثون كوخًا. ويقصد بالكوخ البيت من اللَّبِن. وكانت على الحدود بين طيئ وبني أسـد، طيء شمالها، وأسـد جنوبها، وإقطاع الرسول زيد الخير إياها يدل على أنها لطيئ. **انظر**: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٢٣٩).

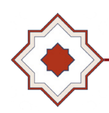
(٢) **الفالُوذَج** - وتسـمَّى فالُوذ، فارسـيٌّ معرَّب -: حلوى هُلاميّـة رَجْراجَة، تُعْمَل من دقِيق البرِّ وَالـمَاء وَالْعَسَل ومواد أخرى، وتُصنع الْآن من النشا والـماء والسكَّر. **انظر**: المعجم الوسيط (٢/ ٧٠٠)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ١٦٦٢).

(٣) **انظر**: تاريخ الإسلام (٥/ ٩٧٠).

**فائدة**: لما تسـامَعَ الناسُ بقُدوم يحيى بن معيـن المدينةَ وبموته، اجتمع العامةُ، وجاءت بنو هاشـم، فقالت: يُخـرَج له الأعوادُ التي غُسِّـل عليها النبيُّ ﷺ، فكـره العامةُ ذلك، وكثُر الكلامُ، فقالت بنو هاشم: نحن أولى بالنبي ﷺ منكم، وهو أهلٌ أن يُغسَّل عليها، فأُخرِجتْ الأعوادُ، فغُسِّل عليها.

- **قال عباسُ الدوريُّ**: «مات، فحُمل على أعواد النبي ﷺ، ونُودِيَ بين يديه: هذا الذي كان ينفي الكذب َعن رسول الله ﷺ».

- **وقـال جعفـرُ بنُ محمد بن كُزال**: «كنـتُ مع ابن معين بالمدينـة، فمرض وتوفي بها،=



**وممّــن مات بالتُّخْمــة**؛ الملكُ المعظّــمُ معزُّ الدين محمــودُ بنُ معزّ الدين ســنجر شاه ابن سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن عماد الديــن زنكــي ابــن آق ســنقر - صاحب الجزيــرة - في أواخر ســنة ثمان وأربعين وستمائة.

وكان سببُ وفاته أنه كان أكولًا، فأمعن يومًا في الأكل، فحصل له منه تُخْمَةٌ، فأقام بها أيامًا قلائل، وتوفِّي(١).

**وممّــن مات بالتُّخْمة أيضًا**، ملكُ الســويد أدولــف فريدريك، الذي امتدّ حُكْمه ما بين عاميْ (١٧٥١ - ١٧٧١ م).

فقد جاء في «الموسوعة الحرة» أنه في يوم الثلاثاء الموافق ١٢ فبراير ١٧٧١ م، تناول «فريدريك» وجبةً كبيرةً مكوّنةً من: السلطعونات البحرية، وسمك الرَّنْجة المدخَّن، والكافيار، وشربة الكرنب، والشمبانيا! وأربعةَ عشرَ قطعةً من الحلوى المسماة «سيملا» (نوعٌ من الكعك المصنوع من الدقيق الأبيض)، وأربعةَ عشرَ كوبًا من الحليب الساخن!!

فعانــى بعدها من نوبة عُسْــرِ هضمٍ حــادةٍ، طالــتْ تداعياتُها معدتَه، ليلفظ أنفاسَــه الأخيــرةَ بعد تناول هــذه الوجبة الضخمــة في نهاية اليوم؛ بسبب شراهته!

---

= فحُمل على سرير رسول الله ﷺ، ورجلٌ ينادي بين يديه: هذا الذي كان ينفي الكذبَ عن حديث رســول الله». **انظر**: تاريخ بغداد (١٤/ ١٩٠)، وتاريخ دمشــق (٦٥/ ٣٦)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٩٥).

(١) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (ص: ١٥١).

**وأمَّا مَن مات من المعاصرين بالتُّخْمة فحدِّثْ ولا حرجَ!**[(١)].

بـل إنَّ هـذا العصـرَ يصدُقُ عليـه أنه (**عصـرُ الأكل**)! فقـد تعدَّدت المأكـولاتُ فيـه حتـى بلغـت آلافـا! وتنوّعت المشـروباتُ فيـه ألوانـًا وأصنافـا! وكثـرت فيـه المطاعـمُ حتى مـلأت الـبرَّ والبحرَ، والسـهلَ والجبلَ!!

(١) جاء في مجلة «نيوزويك» الأمريكية، في مطلع شـهر نوفمبر من عام (٢٠١٩ م)، أنّ شـابًّا يُدعى سـوبهاش يـادا، يبلغ من العمر (٤٢) عامـًا، تُوفي بعـد محاولته التهام (٥٠) بيضة في مقاطعـة جوانبـور شـمالي الهند. حيثُ راهن صديقـًا له على ألفـيْ رُوبية (نحو ٢٨ دولاراً!)، إذا تمكَّـن من تناول (٥٠) بيضة على الفور! وقالت: إنه حتى البيضة الحادية والأربعين كانت الأمور تسير على ما يُرام بالنسبة للمتحدِّي.

ثـم إنه ما إنْ قذف بالبيضة الثانية والأربعين في فمه محاولًا مضغَها، حتى سـقط مغشـيًّا عليـه! ونُقل على الفور إلى المشْـفى على أمل إنقـاذه، إلا أنه ظلَّ فاقـداً للوعي ليُتوفّى بعد سـاعاتٍ قليلةٍ. وبعد إجراء الفحوصات، أرجع الأطباءُ سـببَ موته إلى الإفراط في تنـاول الطعام! وقال الأطباءُ: إنَّ المعدةَ أصغرُ بكثيرٍ من أن تسـتوعبَ (٥٠) بيضةً دون أن تواجهَ عسراً في الهضم!

– ونُشر في صحيفة «الوطن» البحرينية بتاريخ (٦/ ١١/ ٢٠١٩ م): أنه في شهر أغسطس من عام (٢٠١٩ م)، انهار دانا هتشينغز، خلالَ مسابقةٍ لتناول الطعام في ولاية كاليفورنيا، حيـث أُصيـب بالاختناق، فارتطـم وجهُه بطاولـة الطعام أثناءَ سـقوطه علـى الأرض. وحـاول الطاقمُ الطبيُّ تنظيفَ مجرى الهواء من الطعام، لكنّ دانا البالغ من العمر (٤١) عامًا، تُوفّي بعد أقلّ من نصف ساعةٍ من وصوله إلى المستشفى!

– ونُشـر في الأخبـار بتاريـخ (٢٦/ ١/ ٢٠٢٠ م) أنَّ امرأةً أسـترالية عمرُهـا (٦٠) عامـًا ماتت خلال مشاركتها في مسابقة تناول أكبر كميَّة من المرطِّبات الأسترالية، المكوَّنة من مكعب إسفنج مغطى بالشوكولاتة وجوز الهند «كعكة اللامينغتون» !!

**والحوادثُ المشابهةُ في هذا كثيرةٌ.**



وقد مرّ معنا في المبحث الثاني كلامُ شيخ الإسلام ابن تيمية من أنّ الإنسانَ إذا كان يخشى من أكله تأذِّيًا، أو يخشى تُخْمَةً، فإنه يَحرُمُ عليه الأكلُ!

❊❊❊

# المبحثُ السابعُ

## حُكمُ ما يُسمّى (البُوفيهْ المفتوح)

**الأصلُ** أنْ يَشبعَ الإنسانُ بتناول كِميّةٍ معقولةٍ من الطعام.

ولـذا تجد معظـمَ المطاعم في العالَـم قد تعارفتْ علـى الكمّية التي يَشبعُ منها الشخصُ الواحدُ عادةً، فوضعتْ طَبَقًا وَسَطًا لمرتادي مطاعمِ ما يُسمَّى (البُوفيهْ المفتوح)(١)، حتى صار ذلك عُرْفًا عالَـميًّا غالبًا.

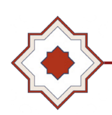
ولهـذا؛ لم يتردّد التجّارُ في العمـل بنظام (البُوفيهْ المفتوح)؛ لِعلمهم أنّ الإنسـانَ مهما أكل فإنه يكفيه قَدْرٌ معقولٌ من الطعام، وأنّ ما أكل من الطعـام نظيرَ ما دفع من المال لا يُعدُّ شـيئًا كثيـرًا، فهم رابحون على كلِّ حالٍ!

**أما من حيثُ التكييفُ الفقهيُّ والحكمُ الشرعيُّ؛ فقد اختلف العلماءُ اختلافًا كثيرًا في مسألة: الأكل حتى الشِّبَعِ، أو ما يُسمّى (البُوفيهْ المفتوح)؛ ما بينَ مُجيزٍ ومانعٍ.**

---

(١) البُوفيهْ: كلمةٌ أصلُها فرنسـيٌّ، كانت تَعني قطعةً من الأثاث فيها أدراجٌ وخزائنُ للأواني، ثم شـملت الطاولة التي تُقدَّم عليها المرطِّبات، ثم أصبحت تعني المطعمَ الذي يحتوي على هذه الطاولة .

وكلمـةُ مفتوح: تعني أن للمشـتري أن يختار مـن جميع الأصناف المعروضـة المقدارَ الذي يكفيه لوجبةٍ واحدةٍ.



وقد حرَّرتُ - بحمد الله - هنا الأقوالَ والأدلّةَ في هذه المسألة تحريرًا بالغًا، وتتبَّعتُ لها أقوالَ العلماء المتقدِّمين، كما تتبّعتُ أقوالَ العلماء المعاصرين: مكتوبةً ومسموعةً ومرئيّةً، بما لا تكاد تجده مجموعًا محرَّرًا في غير هذا الموضع، وباللهِ تعالى التوفيق.

وقبلَ أنْ أذكرَ الأقوالَ في المسألة، أُحِبُّ أنْ أُشيرَ هنا إلى أنَّ الخلافَ إنما هو فيمن دفع مبلغًا مُعيَّنًا من المال ليدخلَ إلى البوفيه المفتوح ويأكلَ ما شاء من الأصناف المعروضة.

أمَّا من دُعيَ إليه ليأكلَ فيه مجّانًا - كما هو الحالُ في المناسبات والأفراح والاحتفالات - فلا حرجَ على الآكِلِ في ذلك، ولا يدخل في الخلاف.

وكذا الحالُ بالنسبة لصاحب المناسبة، الذي يتفق مع صاحب المطعم ليصنع له كذا وكذا صِنفًا من الأطعمة بمقدارٍ معيَّنٍ يتّفقان عليه؛ ليُقدِّمها إلى ضيوفه على طريقة البُوفيهْ المفتوح، فلا حرجَ أيضًا في ذلك.

**وإليكَ خُلاصةَ الأقوال في المسألة مع أدلتها بالتفصيل :**

**القولُ الأول: ذهب بعضُ العلماء إلى القول بالمنع مُطلقًا.**

**قالوا :**

- لأنَّ من شروط البيع معرفةَ الثمن والـمُثْمَن، وخُلوَّ كلِّ واحدٍ منهما من الغَرَر والجهالة، وهنا قد عُرف الثمنُ ولم يُعرفْ الـمُثْمَن! حتى ولو حُدِّد المقدارُ بوجبةٍ واحدةٍ؛ لأنَّ الناسَ يتفاوتون في مقدار ما يأكلون تفاوتًا كبيرًا، ففيه غَرَرٌ وجهالةٌ.

- ولأنَّ الأصنافَ المعروضةَ متفاوتةٌ غالبًا في السِّعْر، فقد يَرغبُ الآكلُ في أغلاها سِعْرًا فقط ويستكثرُ من ذلك، فيقع الغَبْنُ على صاحب المطعم.

- ولأنه داخلٌ في عقدٍ من عقود المعاوضات لا يَدري أهو غانِمٌ فيه أم غارِمٌ؟ وهذا هو الميْسِرُ المحرَّم؛ لأنَّ الـمُثْمَنُ هنا وهو الطعامُ، إمَّا أن يأكلَ المشتري بأقلَّ ممّا دفع فيكون غارِمًا، وإمَّا أنْ يأكلَ بأكثرَ ممّا دفع فيكون غانِمًا. وكذلك البائعُ يدخل في هذه المعاملة وهو إمَّا غانِمٌ أو غارِمٌ، إذا كان الـمُثْمَنُ مجهولَ المقدار، فإنْ أكلَ المشتري القليلَ من الطعام فهو غانِمٌ، وإنْ أكلَ المشتري الكثيرَ من الطعام فهو غارِمٌ.

- أنَّ بعضَ الفقهاء قد نصُّوا على أنَّ المستأجِرَ إذا وجد الأجيرَ الذي استأجره بطعام أكُولًا خارجًا عن عادة الناس في الأكل، فله أن يفسخَ إجارته؛ لأنه كَعَيْبٍ وجده به، إلَّا أن يرضى الأجيرُ بطعامٍ وَسَطٍ.

وأنه لو استأجرَ دابةً بأكلها فبانتْ أكُولةً فله الفسخُ، ما لم يرضَ صاحبُها بالوَسَط.

**قالوا:** وأمَّا إن تزوَّج امرأةً فوجدها أكُولةً خارجةً عن عادة الناس فليس له فسخُ نكاحها، فإمَّا أشبعَها أو طلَّقها؛ لأنَّ المرأةَ لا تُرَدُّ إلا من العيوب المعتبَرة، فهو كما لو وجدها عوراءَ أو عرجاءَ، ولو شاء لاسْتثبتَ(١).

(١) **انظر:** الجامع لمسائل المدونة (١٦/ ٤٥)، وشرح الزرقاني على مختصر خليل وحاشية البناني (٧/ ٦٦)، والتاج والإكليل لمختصر خليل (٧/ ٥٣٠)، والشرح الكبير للدردير=



**القولُ الثاني: ذهب بعضُ العلماء إلى القول بالجوازِ مُطلقًا. واحتجُّوا بما يلي:**

**قالوا:**

- إنَّ شرطَ البيع - وهو معرفةُ الثَّمن والـمُثْمَن - قد تحقّق هنا، فالبائعُ قد حدَّد الثمنَ، وحدَّد المقدارَ بوجبةٍ واحدةٍ، والمشتري قد عَرَفَ المبيعَ بالرؤية، وتراضَيا على ذلك، أمَّا الشِّبَعُ فلا تأثيرَ له في الحُكم، وإنما التأثيرُ في معرفة نوع المأكول.

وأمَّا تفاوتُ الناسِ في مقدار ما يأكلون، فهذا يُعتبر من التفاوت اليسير الذي يَتسامح الناسُ فيه عادةً، ولا يحصل بسببه مُشاحَّةٌ ولا نِزاعٌ غالبًا، فيُلحَق بالغَرَر اليسير الجائز، ولو وُجِد أنَّ إنسانًا قد يأكل بما مقدارُه وجبتين أو أكثر، فهذا نادرٌ، والنادرُ لا حُكمَ له.

- أنَّ الغَرَرَ الحاصلَ في هذا البيع هو من الغَرَر اليسير المغتَفَر؛ لأنَّ الغَرَرَ ينقسم إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

---

= (٤/ ١٤)، وتحبير المختصر على مختصر خليل (٤/ ٥٦١)، ولباب اللباب (ص: ١٥٦)، والبيان في مذهب الإمام الشافعي (١١/ ٢٠٣)، والمجموع شرح المهذب (١٨/ ٢٥٠)، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج (٦/ ١٥٤)، والإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكّام لميّارة (١/ ٢٦٠)، والموسوعة الفقهية الكويتية (٦/ ١٢٨).

لطيفة: جاء في شرح مختصر خليل للخرشي (٤/ ١٨٤): «نفقة الزوجة تجب على زوجها ولو كانت أكولةً جدًّا، وهي مصيبةٌ نزلت به!! فعليه كفايتُها أو يطلقُها كما في الحديث. بخلاف من استأجر أجيرًا بطعامه فوجده أكولًا، فإنَّ المستأجرَ له الخيارُ في إبقاء الإجارة وفسخها، إلَّا أنْ يرضى الأجيرُ بطعامٍ وسطٍ، فإنه لا خيارَ للمستأجر، ويلزمه أن يدفع للأجير طعامًا وسطًا».

١ – الغَـرَرُ الكثيرُ، وذلك كالمخاطرةِ في عقدٍ على شـيءٍ قد يَحصل وقـد لا يَحصـل. كبيع المعدوم، والمجهول، مثلَ بيع السـمكِ في النهر، والطيرِ في الهواء، والحَمْلِ في البطن، ونحو ذلك. فهذا غيرُ جائزٍ.

٢ – الغَرَرُ اليسيرُ الذي تدعو إليه الحاجة. فهذا جائزٌ بالإجماع.

٣ – متوسطٌ بينهما.

قال القرافي: «الغَرَرُ والجهالةُ ثلاثةُ أقسام: كثيرٌ ممتنعٌ إجماعًا كالطير في الهـواء، وقليـلٌ جائزٌ إجماعًا كأسـاس الدار وقُطْن الجُبَّة، ومتوسـطٌ اختُلـف فيـه هل يُلحَـق بـالأول أو الثـاني، فلارتفاعه عن القليـل أُلحق بالكثيـر، ولانحطاطه عن الكثير أُلحق بالقليل، وهذا هو سـبب اختلاف العلماء في فروع الغَرَر والجهالة»[(١)].

وقال ابنُ رشـدٍ الحفيـدُ: «الفقهاءُ متّفقـون على أنَّ الغَـرَرَ الكثيرَ في المبيعـات لا يجـوز، وأنَّ القليـلَ يجـوز. ويختلفون في أشـياءَ من أنواع الغَـرَر، فبعضُهـم يُلحِقُها بالغَرَر الكثير، وبعضهـم يُلحِقُها بالغَرَر القليل المباح؛ لتردُّدها بين القليل والكثير»[(٢)].

وقـال النوويُّ: «النهيُ عـن بيع الغَرَر أصلٌ عظيـمٌ من أصول كتاب البيوع، ويدخل فيه مسـائلُ كثيرةٌ غيـر منحصرةٍ، كبيع الآبق، والمعدوم، والمجهول، وما لا يُقدَر على تسليمه، وما لم يَتِمَّ ملكُ البائع عليه، وبيع

---

(١) أنوار البروق في أنواء الفروق (٣/ ٢٦٥).

(٢) بداية المجتهد ونهاية المقتصد (٣/ ١٧٣).



السـمك في الماء الكثير، واللبن في الضـرْع، وبيع الحَمْل في البطن، وبيع بعض الصُّبْرة مُبهَمًا، وبيع ثوبٍ من أثوابٍ، وشاةٍ من شياهٍ، ونظائر ذلك. وكلُّ هذا بيعه باطلٌ؛ لأنه غَرَرٌ من غير حاجةٍ.

وقد يُحتمل بعضُ الغَرَر بيعًا إذا دعت إليه حاجةٌ، كالجهل بأساس الدار، وكما إذا باع الشاة الحامل، والتي في ضرعها لبنٌ، فإنه يصحُّ البيع؛ لأن الأساسَ تابعٌ للظاهر من الدار، ولأن الحاجةَ تدعو إليه؛ فإنه لا يمكن رؤيتُه، وكذا القولُ في حَمْل الشاة ولبنها.

وكذلك أجمع المسلمون على جواز أشياءَ فيها غَرَرٌ حقيرٌ، منها أنهم أجمعوا على صحة بيع الجُبَّة المحشوَّة وإن لم يَرَ حَشْوَها، ولو بِيع حَشْوُها بانفراده لم يجز. وأجمعوا على جواز إجارة الدار والدابّة والثوب ونحو ذلك شهرًا، مع أن الشهرَ قد يكون ثلاثين يومًا، وقد يكون تسعةً وعشرين. وأجمعوا على جواز دخول الحمَّام بالأجرة مع اختلاف الناس في استعمالهم الماء، وفي قَدْر مُكْثهم. وأجمعوا على جواز الشُّرْب من السِّقاء بالعِوَض مع جهالة قَدْر المشروب، واختلاف عادة الشاربين، وعكس هذا. وأجمعوا على بطلان بيع الأجنَّة في البطون، والطير في الهواء، **قال العلماءُ**: مدارُ البُطلان بسبب الغَرَر، والصحةُ مع وجوده على ما ذكرناه، وهو أنه إن دعت حاجةٌ إلى ارتكاب الغَرَر، ولا يمكن الاحترازُ عنه إلا بمشقَّةٍ، وكان الغَرَرُ حقيرًا، جاز البيعُ وإلَّا فلا»[١].

(١) المنهاج في شرح صحيح مسلم (١٠/ ١٥٦) بتصرف يسير.

ويلتحقُ بما ذكره النوويُّ، ما يحصل في هذا العصر من دخول صالات الألعاب الرياضيّة واللعب فيها، دون تحديد نوع اللعبة أو المدّة، بثمنٍ واحدٍ للجميع، مع تفاوت اللاعبين في ذلك، فبعضُهم قد يستعمل لعبتين أو ثلاثًا، وبعضُهم قد يستعمل أكثر من ذلك بكثيرٍ؛ تبعًا لقوّة اللاعب ونشاطه.

ومثلُه المحلَّاتُ التجاريةُ التي تبيع كلَّ شيءٍ بثمنٍ واحدٍ (كخمسة ريالات مثلًا)، مع تفاوت أسعار السِّلَع المعروضة في المحلّ.

**والخلاصةُ:** أنه ليس كلُّ غَرَرٍ ممنوعًا، فإنَّ الغَرَرَ لا يكاد يسلم منه عقدٌ، وإنما الممنوعُ الغَرَرُ الفاحشُ الذي يُؤدِّي إلى الخصومة والنزاع؛ لأن النبيَّ ﷺ نهى عن بيع الغَرَر[(١)]، أما إذا كان الغَرَرُ يسيراً - ومردُّ ذلك إلى العُرف - فهو مُغْتَفَرٌ في جَنْب المصلحة العامة التي لابدَّ للناس منها.

- أنَّ سِعْرَ البُوفيه المفتوح مرتفعٌ في الغالب عن غيره؛ لكون المشتري يُحدِّد المقدارَ والصِّنفَ الذي يريد، وقد يُراعَى المكانُ أيضًا، كأنْ يكونَ المطعمُ في فندقٍ فخمٍ، أو على الشاطئ، أو في حديقةٍ غنَّاءَ، وما أشبهَ ذلك، فيزيد السِّعْرُ تبعًا لذلك، وهذا الارتفاعُ في السِّعْر يعوِّض البائعَ عن حالاتٍ قليلةٍ قد يكون المشتري فيها ممَّن يأكل مقدارًا يخرج عن العادة.

- أن هذه المسألة لها نظائرُ في الفقه الإسلامي، وهي وإنْ كان في بعضها اختلافٌ، إلّا أنَّ القولَ بالجواز فيها هو الأقربُ إنْ شاء اللهُ تعالى.

(١) كما في صحيح مسلم (٣/ ١١٥٣) رقم (١٥١٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



**فمن ذلك :**

**❋ استئجارُ الـمُرضِعة لرَضاعة الطفل.**

فقد قال اللهُ تعالى في آية الرَّضاع: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣].

فأمر سبحانه بدفع أُجرة الـمُرضِع حسبَ المتَّفق عليه بينهما، مع أنَّ كمّيةَ اللبن التي يَرتضعُها المولودُ تختلفُ من طفل لآخَر، فدلَّ على أنَّ المعتَبرَ في ذلك هو حصولُ الطفل على كفايته من اللَّبن إلى حدِّ الشِّبَع، بغضّ النظر عن الكمّيّة الـمُرتَضَعَة، مع أنها مجهولةٌ!

**❋ استئجارُ الأجير بـمِلءِ بطنه.**

ويدلُّ لذلك قولُ أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «نَشَأْتُ يَتِيمًا، وَهَاجَرْتُ مِسْكِينًا، وَكُنْتُ أَجِيرًا لِابْنَةِ غَزْوَانَ بِطَعَامِ بَطْنِي وَعُقْبَةِ رِجْلِي، أَحْطِبُ لَهُمْ إِذَا نَزَلُوا، وَأَحْدُو لَهُمْ إِذَا رَكِبُوا، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الدِّينَ قِوَامًا، وَجَعَلَ أَبَا هُرَيْرَةَ إِمَامًا» أخرجه ابنُ ماجه[(١)].

---

(١) في السنن – بتحقيق الأرناؤوط – (٣/ ٥١٢) رقم (٢٤٤٥).
وأخرجه بنحوه ابنُ سعد في الطبقات (٤/ ٣٢٦) من طريقين عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة. قال الحافظ في «الفتح» (٩/ ٥٥٨): إسناده صحيح.
وترجم ابنُ ماجه للأثر: «بَابُ إِجَارَةِ الْأَجِيرِ عَلَى طَعَامِ بَطْنِهِ»، وأورد قبله حديثَ عُتْبَةَ بْنَ النُّدَّرِ قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقَرَأَ ﴿طسٓمٓ ۝١﴾ [القصص]، حَتَّى إِذَا بَلَغَ قِصَّةَ مُوسَى قَالَ: «إِنَّ مُوسَى أَجَرَ نَفْسَهُ ثَمَانِيَ سِنِينَ، أَوْ عَشْرًا، عَلَى عِفَّةِ فَرْجِهِ وَطَعَامِ بَطْنِهِ»، لكنه حديثٌ ضعيفٌ.

فدلَّ أثرُ أبي هريرة على جواز ذلك، مع أنَّ كِمّيّةَ الطعام المستهلَكَة تختلف من أجيرٍ لآخَر!

* **استئجارُ الشاةِ ونحوِها مُدَّةً معلومةً لأخذ لبنها في تلك المدَّة.**

قال ابنُ القيّم: «يجوز أنْ يستأجرَ الشاةَ والبقرةَ ونحوَهما مدَّةً معلومةً، للبنها. ويجوز أن يستأجرها لذلك بعلفها وبدراهمَ مسمَّاةٍ، والعلفُ عليه، هذا مذهب مالك، وخالفه الباقون.

وقولُه هو الصحيحُ، واختاره شيخُنا؛ لأنَّ الحاجةَ تدعو إليه، ولأنه كاستئجار الظِّئْر للبنها مدةً، ولأنَّ اللبنَ وإن كان عينًا فهو كالمنافع في استخلافه وحدوثه شيئًا بعد شيءٍ ...» إلخ[(١)].

- أنَّ بعضَ الفقهاء نصُّوا على أنَّ من اشترى رقيقًا فبان أكولًا، أنه لا ردَّ فيه؛ لأنَّ ذلك شيءٌ معتادٌ وليس عيبًا تُردُّ به السِّلْعة[(٢)].

- أنَّ بيعَ الاستجْرارِ (وهو أخذُ الحوائج من البائع شيئًا فشيئًا ودفعُ ثمنها بعد ذلك) جائزٌ في أصحِّ قولَيْ العلماء[(٣)]، مع جهالة المشتري

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ٣٩).

(٢) قال الرافعي في فتح العزيز بشرح الوجيز (٨/ ٣٢٩): «ولا ردَّ بكون الرقيق رطبَ الكلام، أو غليظَ الصوت، أو سيءَ الأدب، أو ولدَ الزنا، أو مغنِّيًا، أو حجَّامًا، أو أكُولًا ...». ومثلُه في الأشباه والنظائر للسيوطي (ص: ٤٥٦).

**وانظر**: مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه (٦/ ٣٠٩٢).

(٣) وهو إحدى الروايتين عند الحنابلة واختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، فهو عندهم نظيرُ صحة النكاح دون تسمية المهر فيُردُّ إلى مهر المثل، وهنا يُردُّ إلى ثمن المثل أيضًا.

=



بالثمن وقت أخْذِه السلعةَ! (لا سيما ما يرتفع سعرُه دائمًا ويهبط، كالخُضار والفواكه) ومع ذلك أجازوه، فالبُوفيهْ المفتوح أولى بالجواز.

- أنَّ البُوفيهْ المفتوح شبيهٌ ببيع الجُزاف[1] الذي أباحه الفقهاء، وهو بيعٌ لا يُعلم قدرُه على التفصيل، وإنما يُكتفى فيه بالمشاهدة والحَزْر والتخمين، وكان مُتعارَفًا عليه بين الصحابة على عهد الرسول ﷺ من غيرِ نكيرٍ.

**قال عبدُ الله بنُ عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَقَدْ رَأَيْتُ النَّاسَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَبْتَاعُونَ جِزَافًا» يَعْنِي الطَّعَامَ، يُضْرَبُونَ أَنْ يَبِيعُوهُ فِي مَكَانِهِمْ، حَتَّى يُؤْوُوهُ إِلَى رِحَالِهِمْ. أخرجه البخاري[2].

---

= ولعل من أظهر الأدلة على مشروعيته، شيوعُ التعامل به في مختلف الأعصار والأمصار حتى عند من يذهبون إلى منعه، ولم يُفتِ أحدٌ منهم ببطلانه.

وعليه فلا بأس بهذا البيع في أصحّ قولَيْ العلماء، بل ربما كان أطيب لقلب المشتري من المساومة. **وانظر**: ما لا يسعُ التاجرَ جهلُه (ص: ٨٤).

(١) **بيعُ الجُزاف أو المجازفة**: هو بيع ما يُكال، أو يُوزن، أو يُعدّ، جملةً، بلا كيلٍ ولا وزنٍ ولا عدٍّ.

**مثاله**: شراء حمولة سيارة من البطيخ مثلًا دون معرفة العدد، أو شراء صُبرة طعامٍ دون معرفة كيلها أو وزنها، أو بيع قطيع من الماشية دون معرفة عدده، أو بيع أرض دون معرفة مساحتها، أو بيع ثوب دون معرفة طوله.

وجمهور الفقهاء على جواز بيع الجُزاف في الجملة، مع أن الأصل أن من شرط صحة عقد البيع أن يكون المبيعُ معلومًا عينًا وقَدْرًا وصفةً، وفي بيع الجُزاف لا يحصل من ذلك إلا القَدْر، لكنه استُثني من الأصل لحاجة الناس واضطرارهم إليه، بما يقتضي التسهيل في التعامل.

(٢) في صحيحه (٣/ ٦٨) رقم (٢١٣٧).

- أنَّ العلمـاءَ قـد أجازوا المناهَـدَة: وهي خَلْطُ المسـافرين نفقتَهم واشـتراكُهم في الأكل من المختلِط. فلـو أكل بعضُهم أكثرَ من رفيقه، أو تصدَّق بعضُهم منه، فلا بأس، لم يزل الناسُ يفعلونه(١).

فالتفاوتُ الحاصلُ في البوفيه المفتوح ما بينَ آكلٍ وآخرَ يُشبِه التناهُدَ، والله أعلم.

**القـولُ الثالثُ: ذهـب بعضُ العلماء إلـى أنه جائزٌ بشـرطٍ**، وهو أنْ يُعلِمَ الآكِلُ صاحبَ الطعام إنْ كان أكُولًا بذلك؛ حتى لا يتضرّرَ صاحبُ الطعام، لأنَّ من قواعد الفقه: «الضررُ يُزال».

وهـذا هو رأيُ العلّامة ابـن عُثيمين رحمه الله. فقد جاء في «الشـرح الممتع»(٢): «**مسـألة**: هناك محـلَّاتٌ تبيع الأطعمة تقول: ادفع عشـرين ريالًا والأكلُ حتى الشِّبَع؟

**الجواب**: الظاهرُ أن هذا يُتسامَح فيه؛ لأن الوجبةَ معروفةٌ، وهذا مما تتسـامح فيه العادةُ، ولكن لو عَرَفَ الإنسانُ من نفسه أنه أكُولٌ فيجب أن

---

(١) **انظر**: مسـائل الإمام أحمد روايـة أبي داود السجسـتاني (ص: ١٨٨)، وروضة الطالبين وعمدة المفتين (٨/ ٢١٠)، ودقائق أولي النهى لشرح المنتهى (٣/ ٣٩).
**ودليل مشروعية المناهدة** ما روى البخاري في «صحيحه» (٣/ ١٣٨) رقم (٢٤٨٦) عن أبي موسـى الأشـعري رضي الله عنه، قال: قال النبيُّ ﷺ: «**إِنَّ الأَشْـعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَـزْوِ، أَوْ قَـلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَـمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ**».
(٢) (٤/ ٣٢٢) طبعة مركز فجر.



يشترطَ على صاحب المطعم؛ لأن الناسَ يختلفون»[1].

**والذي يظهر لي** أنَّ القولَ بالجواز هو الراجحُ، لكنْ بقَيْدَيْن :

١ - معرفـةُ المبيـع معرفـةً نافيةً للجهالـة، إمَّا بالرؤيـة أو بالوصف المنضبِط.

٢ - أنْ يكونَ الغَرَرُ يسيرًا لا فاحشًا.

والقولُ الثالثُ ليس ببعيدٍ. والله أعلم، والردُّ إليه أسلم.

❊❊❊

(١) **وانظر**: الموسـوعة الفقهية الكويتية (٣١/ ١٥١)، وما لا يسع التاجر جهله (ص: ٨٤)، والمعاملات المالية أصالة ومعاصرة لدبيّان الدبيّان (٤/ ٤١).



# المبحثُ الثامنُ

## طالبُ العلمِ والأكل!

اعلمْ أنّ كثرةَ الأكل ليست من سِيما العلماءِ ولا طُلّاب العلم، وقد نبَّهوا على ذلك في آداب الطَّلَب(١).

---

(١) قال ابنُ جماعة: «مِن أعظم الأسباب المعينة على الاشتغال والفَهم وعدم الملال أكلُ القدْر اليسير من الحلال.

قال الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما شبعتُ منذُ ستَّ عشرةَ سنةً»! وسببُ ذلك: أنَّ كثرةَ الأكل جالبةٌ لكثرة الشُرْب، وكثرتُه جالبةٌ للنوم والبلادة وقُصور الذِّهن وفُتور الحواسّ وكسل الجسم، هذا مع ما فيه من الكراهية الشرعية والتعرُّض لخطر الأسقام البدنية. كما قيل:

فإنَّ الداءَ أكثرَ ما تراهُ ... يكونُ من الطعامِ أو الشرابِ

ولم يُرَ أحدٌ من الأولياء والأئمة العلماء يَصف شاكرًا أو يُوصف بكثرة الأكل ولا حُمِد به، وإنما تُحمَد كثرةُ الأكل من الدوابِّ التي لا تَعقل بل هي مُرْصدَةٌ للعمل، والذهنُ الصحيحُ أشرفُ من تبديده وتعطيله بالقَدْر الحقير من طعام يؤول أمرُه إلى ما قد عُلِم.

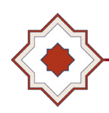
ولو لم يكن من آفات كثرة الطعام والشراب إلا الحاجةُ إلى كثرة دخول الخَلاء لكان ينبغي للعاقل اللبيب أن يصونَ نفسَه عنه، ومَن رام الفلاحَ في العلم وتحصيلَ البُغية منه مع كثرة الأكل والشرب والنوم فقد رام مستحيلاً في العادة.

والأَوْلى أن يكون ما يأخذ من الطعام ما ورد في الحديث عن النبي ﷺ قال: «ما ملأ ابنُ آدمَ وعاءً شرًّا من بطنٍ، بحَسْبِ ابنِ آدم لُقيماتٍ يُقمنَ صُلبَه، فإنْ كان لا محالةَ فثلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنَفَسِه» رواه الترمذي.

فإن زاد على ذلك فالزيادةُ إسرافٌ خارجٌ عن السنة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأعراف: ٣١]، قال بعضُ العلماء: جمع اللهُ بهذه الكلمات الطبَّ كلَّه».

تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (ص: ٩٠ - ٩١).

**وانظر**: كشف الظنون (١/ ٤٦).



**ولذا قال سَحنونُ بنُ سعيد:** «لا يَصلحُ العلمُ لمن يأكلُ حتى يشبعَ»(١).

**وقال الربيعُ بنُ سليمان:** «لم أرَ الشافعيَّ آكِلًا بنهارٍ ولا نائمًا بليلٍ»؛ لاهتمامه بالتصنيف(٢).

**وقال الخليلُ بنُ أحمد الفراهيدي:** «أثقلُ ساعاتي عليَّ ساعةٌ آكُلُ فيها»(٣).

**قلتُ:** هي أحبُّ الساعاتِ إلينا!! واللهُ المستعانُ.

وكان داودُ الطائي يَستفُّ الفَتيتَ(٤)، **ويقول:** بين سَفِّ الفَتيت وأكْل الخبز قراءةُ خمسينَ آيةً!

**وقال ابنُ أبي حاتم:** «كُنَّا بمصرَ سبعةَ أشهرٍ، لم نشربْ فيها مرقةً، نهارُنا ندور على الشيوخ، وبالليل ننسخ، ونقابل، فأتينا يومًا أنا ورفيقٌ لي شيخًا، فقالوا: هو عليلٌ، فرأينا سمكةً أعجبتْنا، فاشتريناها، فلما صِرْنا إلى البيت حضر وقتُ مجلس بعض الشيوخ، فمضيْنا، فلم تزلْ السمكةُ ثلاثةَ أيامٍ، وكادتْ تتغيّر، فأكلناها نَيّةً! ولم نتفرّغ نشويها! ثم قال:

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤١١)، والشفا بتعريف حقوق المصطفى مع حاشية الشمني (١/ ٨٦).

(٢) المجموع شرح المهذب (١/ ٣٨).
**وانظر** الخبرَ بطوله في: مناقب الشافعي: للبيهقي (١/ ٢٣٧).

(٣) الأوائل للعسكري (ص: ٣٧٩)، والتذكرة الحمدونية (٩/ ٩٤).

(٤) **الفتيت:** هو الخبزُ اليابسُ المبلولُ بالماء.

لا يُستطاع العلمُ براحة الجَسَد!»[(١)].

وقال أبو الوفاء بنُ عقيل الحنبلي: «أنا أُقصِّرُ بغاية جَهْدي أوقاتَ أكلي، حتى أختارُ سَفَّ الكَعْك وتحسِّيه بالماء على الخُبزة؛ لأجل ما بينهما من تفاوت المضْغ! توفُّرًا على مطالعةٍ، أو تسطير فائدةٍ لم أُدْرِكها فيه»[(٢)].

وقال ابنُ الجوزي: «كنتُ في حلاوة طلبي العلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل؛ لأجل ما أطلب وأرجو، كنتُ في زمان الصِّبا آخُذ معي أرغفةً يابسةً، فأخرج في طلب الحديث، وأقعد على نهر عيسى، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلتُ لُقمةً، شربتُ عليها، وعينُ هِمَّتي لا ترى إلا لذّةَ تحصيل العلم»[(٣)].

وقال أيضًا: «تأملتُ عجبًا، وهو أنَّ كلَّ شيءٍ نفيس خطير يطول طريقُه، ويكثر التعبُ في تحصيله. فإنَّ العلم لـمَّا كان أشرفَ الأشياء، لم يحصل إلا بالتعب والسهر والتكرار، وهجر اللَّذات والراحة، حتى قال بعضُ الفقهاء: بقيتُ سنينَ أشتهي الهريسةَ لا أقدر؛ لأن وقتَ بيعها وقتُ سماع الدرس!»[(٤)].

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (٥/ ٤٦٨)، والمقفّى الكبير (٤/ ٤٩).
(٢) ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٣٢٥)، والمقصد الأرشد (٢/ ٢٤٧).
(٣) صيد الخاطر (ص: ٢٤٨).
(٤) المصدر نفسه (ص: ٢٨١).



وقال القحطاني في نونيّته[١] :

لاَ تَحْشُ بَطْنَكَ بِالطَّعَامِ تَسَمُّنًا ... فَجُسُومُ أَهْلِ الْعِلْمِ غَيْرُ سِمَانِ[٢]

لاَ تَتَّبِعْ شَهَوَاتِ نَفْسِكَ مُسْرِفًا ... فَاللهُ يُبْغِضُ عَابِدًا شَهْوَانِي

أَقْلِلْ طَعَامَكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ ... نَفْعُ الْجُسُومِ وَصِحَّةُ الأَبْدَانِ

وَامْلِكْ هَوَاكَ بِضَبْطِ بَطْنِكَ إِنَّهُ ... شَرُّ الرِّجَالِ الْعَاجِزُ الْبَطْنَانِي

وَمَنِ اسْتَذَلَّ لِفَرْجِهِ وَلِبَطْنِهِ ... فَهُمَا لَهُ مَعْ ذَا الْهَوَى بَطْنَانِ

حِصْنُ التَّدَاوِيِّ الْمَجَاعَةُ وَالظَّمَا ... وَهُمَا لِفَكِّ نُفُوسِنَا قَيْدَانِ

وقال الحافظُ السيوطيُّ :

حَدَّثَنا شَيْخُنا الكِنَانِي ... عَنْ أَبِهِ صَاحِبِ الخَطَابَهْ

أَسْرِعْ أَخا العِلْمِ فِي ثَلَاثٍ: ... الأَكْلِ، والمَشْيِ، وَالكِتَابَهْ[٣]

وقال الشيخُ عبدُ الله الحكمي في أرجوزته المسماة «عُدّة الطلب»[٤]:

---

(١) البيت رقم (٤٥٤ – ٤٥٩).

(٢) لطيفة: يُذكر أنَّ بعضَ العلماء المعاصرين – وكان سَمينًا – لما وصل إلى شرح هذا البيت قال: هذا البيتُ فيه نظر!!

قلتُ: التحقيقُ أنَّ السِّمَنَ على ضَرْبيْن: فِطْريٌّ ومُكْتَسَبٌ. والمذمومُ الثاني. وهو مُرادُ صاحبِ النونيّة. والله أعلم.

(٣) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (١/ ٢٣٠).

(٤) (ص:١١٤).



لَا تَشْرِبِ البِبْسِيْ وَلَا الكَاكُولَا! ثُـمَّ اقْـتَـصِـدْ وَلَا تَـكُـنْ أَكُـولَا!

لِـكُـلِّ مَـا تَـرغَـبُ مِـنْ طَـعَـامِ فِـإنَّـه مَـجْـلَـبَـةُ الأسْـقَـامِ

فينبغـي للمشـتغلين بالعلـم أنْ يقتصـدوا في المـأكل والمشـرب، وأنْ يقتصـروا من ذلك على بُلْغَةٍ يسـيرةٍ، ويصرفـوا نُهمتهم إلى الطلب والسماع والحفظ والتحصيل والبحث.

❊❊❊



# المبحثُ التاسعُ

## أنواعُ الـمُهَضِّمات!

روى البيهقيُّ في «الجامع لشعب الإيمان»[1] بسنده عَن نَافع؛ أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَهْدَى لِابْنِ عُمَرَ جَوَارِش[2]، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا يَهْضِمُ عَنْدَ طَعَامَك، فقَالَ: «وَاللهِ مَا شَبِعْتُ مُنْذُ سِتَّةِ أَشْهُرٍ!»، وَرَدَّهُ.

وفي روايةٍ عند أبي داود في «الزهد»[3] قال: «مَا شَبِعْتُ مُنْذُ قُتِلَ عُثْمَانُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ!».

وروى ابن أبي الدنيا في «الجوع»[4] بسنده عن ابن سيرين قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابن عُمَرَ، فَقَالَ: أَلاَ نَصْنَعُ لَكَ جُوَارِشْنَ؟ فَقَالَ: وَأَيُّ شَيْءٍ الْجُوَارِشْنَ؟ قَالَ: شَيْءٌ إِذَا كَظَّكَ الطَّعَامُ فَأَكَلْتَ مِنْهُ سَهُلَ عَلَيْكَ مَا تَجِدُ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: «مَا شَبِعْتُ مُنْذُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ! وَمَا ذَاكَ أَلَّا أَكُونَ أَجِدُهُ، وَلَكِنِّي

---

(١) (٧/ ٤٦٩) رقم (٥٢٩٤).
(٢) **الجَوارِش**: وتُسمَّى جُوَارِشْنَ أيضًا: نوعٌ من الأدوية المركّبة، يُتّخذ من سُكّرٍ أسود مع بعض البهارات، يقوّي المعدة، ويهضم الطعام. وليست اللفظة عربية. **انظر**: الصحاح (٥/ ٢٠٥٩)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٣١٩)، وحاشية محقّق شمس العلوم (٣/ ١٦٩٥).
(٣) (ص: ٢٦٤).
(٤) (ص:٦١) رقم (٥٩).



عَهِدْتُ أَقْوَامًا يَجُوعُونَ مَرَّةً وَيَشْبَعُونَ مَرَّةً»(١).

وعن الحسنِ البَصْريِّ قال: «ابْنُ آدَمَ أَسِيرُ الْجُوعِ صَرِيعُ الشَّبَعِ. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ أَقْوَامًا لَبِسُوا هَذِهِ الْمَطَارِفَ الْخَزَّ وَالْعَمَائِمَ الرِّقَاقَ، وَوَسَّعُوا دُورَهُمْ، وَضَيَّقُوا قُبُورَهُمْ، وَأَسْمَنُوا دَوَابَّهُمْ، وَأَهْزَلُوا دِينَهُمْ، طَعَامُ أَحَدِهِمْ غَصْبٌ، وَخَادِمُهُ سُخْرَةٌ، يتكئ عَلَى شِمَالِهِ، وَيَأْكُلُ فِي غَيْرِ مَالِهِ، حَتَّى إِذَا أَدْرَكَتْهُ الْكِظَّةُ (التُّخْمَة)؛ قَالَ: يَا جَارِيَةُ! هَاتِي حَاطُومًا - يَعْنِي: جَوَارِشَ -، وَهَلْ تَحْطِمُ يَا شَقِيُّ إِلَّا دِينَكَ؟!»(٢).

ولما قيل لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ألا نتّخذ لك جَوارِشًا؟ قال: وما يكونُ الجَوَارِشُ؟ قيل: هو صنفٌ يهضمُ الطعامَ، فقال: سبحان الله! أَوَيأكلُ المسلمُ فوقَ الشِّبَعِ؟!

ومن المُهَضِّماتِ التي كانت تُتَّخذُ قديمًا ما قال القاضي أبو عليّ المحسّن بن عليّ التنوخيّ: «ومن طريف أخبار العادات، أنّي كنت أرى أبا الفرج عليّ بن الحسين الأصبهانيّ الكاتب - نديمَ أبي محمد المهلّبيّ، صاحبَ الكتب المصنّفة في الأغاني والقِيان وغير ذلك - دائمًا إذا ثَقُل الطعامُ في معدته - وكان أكولًا نَهِمًا - يتناول خمسةَ دراهمَ فُلْفُلًا مدقوقًا، فلا تُؤذِيه، ولا تُدْمِعُه»(٣).

---

(١) قال المرُّوذي: قلتُ لأبي عبد الله يعني أحمد بن حنبل: يُؤجر الرجل في ترك الشهوات؟ قال: كيف لا يُؤجر وابنُ عمر يقول: ما شبعتُ منذ أربعة أشهر؟! الآداب الشرعية والمنح المرعية (٣/ ١٩٤).

(٢) المجالسة وجواهر العلم (٣/ ٤٥).

(٣) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة (٤/ ٥٦).



ومنها ما جاء في قول الناظم :

ويَهْضِمُ الطعامَ بعدَ الأكْلِ ... خمسةُ أشياءَ بهذا الفِعلِ
كَرَاوِيَا، أوْ سَعْتَرٌ، أوْ زَنْجَبِيلْ ... كُزْبَرةٌ، قَرَنْفُلٌ، لكنْ قليلْ

وقد زِدتُ عليها :

أَضِفْ إليها (قَهْوَةً) تَجْلُو الحَزَنْ ... لا سيَّما ما كانَ مِنْ بُنِّ اليَمَنْ!
و(الشَّايُ) بعدَ كَبْسةٍ لا تَتْرُكِ ... حَذَارِ عِندَ شُربِهِ أنْ تَتَّكِيْ!
ومنهُ أخضرٌ ومنهُ أحمرُ ... وجُلُّ أهلِ الغَرْبِ قد تجَمْهَرُوا
فقدَّموا الأخْضرَ بعدَ الكُسْكُسِ[1] ... وأخَّروا الأحمرَ فَخْرَ الأَكْؤُسِ!
وقال قومٌ: يَنبغي أنْ يُعْلَمَا ... أنَّ الذي قَدّمَ جُلُّ الفُهَمَا
مِن الشناقيطِ ومِن غَيرِهِمُ ... الأخْضرَ المعروفَ في قُطْرِهِمُ!
وهْوَ الذي يُغْلَى على (الدَّافُورِ) ... مَعْ نَعْنَعٍ وسُكَّرٍ كَثيرِ
وبعضُه يُعمَلُ فوقَ الجَمْرِ ... وذاك فيه لَذَّتي لَعَمْرِيْ!
والقَولةُ المشهورةُ الصحيحهْ ... لُزومُهُ لآكِلِ الذَّبيحَهْ!

---

(١) الكُسْكُس: أكْلةٌ مَغربيّةٌ مَشهورةٌ.

قال عامرُ الأنبوطي الشافعي :

وخيرُ ما في غَرْبِنا يُلْتَمَسُ ... حَبٌّ مُكَرْكَبٌ يُسمَّى الكُسْكُسُ!
وقَهْوَتانِ في الصباحِ والمَسَا ... ومَنْ يَزِدْ عليهما فقدْ أسَا!

وذاكَ كَـيْ يُـهَـضِّـمَ الـلُّـحُـومَـا ... ويَـحْـرِقَ الـدُّهـونَ والشُّحُومَا!

واحْذرْ مِنَ (البِبْسِيْ) ومِنْ (سِفْنٍ) ومِنْ ... (مَـشْـروبِ طـاقَـةٍ) فكُلُّها قَمِنْ

بِـأنْ يَحوسَ الأكـلَ في الأمعاءِ! ... فـتَـضْـمَـحِـلَّ قِـيـمـةُ الـغِـذاءِ!

***



# المبحثُ العاشِرُ

## تفسيرُ حالِ الأَكَلَة!

تقـدَّم معنـا أنَّ الأصلَ هو أنْ يَشـبعَ الإنسـانُ بتناول كميّـةٍ قليلةٍ من الطعام.

لكنّ المسـتغرَبَ حقًّا، هو حالُ هـؤلاء الأكَلَة الذين يأكلون كِمّيّاتٍ كبيرةً من الطعام، وربما لا يَشبعون!

وقد اسـتغرب ابنُ تَغْري بَرْدي حالَ هؤلاء الأَكَلَة، فقال بعد أنْ ذكر كثرةَ أكل سـليمان بن عبد الملك: «قلتُ: أفاد بعضُ الحكماء أن الرجلَ لا يـأكل أكثرَ من سِـتينَ لُقمةً من جُوعه إلى شِـبَعه؛ فما يكون شـأنُ هذا الرجلِ وأمثالِه من الأَكَلَة؟!»[(١)].

وقد ادّعى بعضُ الصوفيّة - الذين لا همَّ لهم إلّا الأكلُ والرقصُ![(٢)] -

(١) مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة (١/ ٨٧).

(٢) قال المزنيُّ: سمعتُ الشافعيَّ يقول: «لا يكُونُ الصُّوفيُّ صُوفِيًّا حتَّى يَكُونَ: أكُولًا، نَؤُومًا، كثيرَ الفُضول!». الطيوريات (٢/ ٣٧٤).

وفي المصدر نفسـه (٢/ ٣٧٤) عن أبي سـعد الإسـماعيلي الجُرْجانيّ قال: «قِيْلَ لِبَعْضِ الصُّوفِيّة: أَيُّ آيةٍ أحبُّ إِلَيْكَ مِنَ القرآنِ؟ قالَ: قولُه تَعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾!!».

وفيه أيضًا (٢/ ٣٧٦) عن أبي سـعد الإسـماعيلي أيضًا قال: قالَ بعـضُ الصُّوفيَّة: «اللهُ لَمْ يُكَلِّفْنا مِنَ الأَعْمَالِ إلاَّ الْمَشْيَ والأكلَ، فقالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾!!».

- **وجاء في ثمار القلوب في المضاف والمنسـوب للثعالبـي** (ص: ١٧٤): يُضْرب الْمثل بِـأَكْل الصُّوفِيَّة، يُقَال: آكَلُ مِـن الصُّوفِيَّة، وآكَلُ من الصوفيِّ؛ لأَنهم يَدينون بِكَثْرَة الْأكل=

أنَّ كثرةَ أكلِ الآكِلِ من كرامات الأولياء!!!

فـردّ عليهم الحافـظُ الذهبيُّ بقولـه: «هذا الحالُ ليـس من كرامات الأولياء؛ فإنَّ الأولياءَ أكلُهم قليلٌ، والمؤمن يأكل في مِعَىً واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء.

وأيضًـا فالولـيُّ يأكل قوتَ يوم في أسـبوع، يتقوَّت بـه، ويبارَك له في طعامه، وفي قُواه، لا أنه يأكل نصفَ قِنطارٍ من الطعام في جَلْسةٍ!

ولعلّ مَن يفعل هذا لا يُسمِّي الله، ويُقبلُ بنفسٍ حادّةٍ مُحرِقةٍ للأكل، وقد تُعينه الشـياطينُ في أكل ذلك! فيفـرغ، وتطير بركته، ويظنّ هو ومَن حضـره أن هذا الفعـلَ من كرامـات المتقين! وإنما كراماتُ السـادة أن يُحضِـرَ أحدُهم ما يكفـي واحدًا، فيَقُـوتُ به الجمعَ الكبيرَ، ويَشـبعون ببركة دعائه»[(١)].

---

= ويختصُّون بعِظَم اللَّقْم، وجودة الهضْم، واغتنام الأكل!

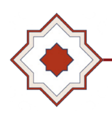
وَسُئِلَ بعض الْقُرَّاء عَنْهُم فقال: رَقَصَةٌ أَكَلَةٌ!

وبلغ من عنايتهم بِأَمْر الْأكل وَشدَّة حرصهم على قطع أَكثر الْأَوْقَات بِهِ، أَنْ نَقَشَ بَعضُهم علـى خَاتَمـه: ﴿أُكُلُهَا دَآيِمٌ﴾! ونقشَ آخرُ: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾! وَنقـشَ آخرُ: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾! ....

وقد أفْصح بعضُ الظُّرفاء عَن حقيقة وصفهم، وجليَّة حالهم، فقالَ - وما قالَ إلَّا الحقَّ - :

صَـحِبْـتُ قـومًـا يَـقُـول قَـائِـلُـهـمْ : نـحـن عـلـى ذي الـجَـلالِ مُـتَّـكِـلَـهْ
فالوقتُ والحـالُ والحقيقةُ والبِرْ هـانُ والـرقـصُ عـنـدَهـم مَـثَـلَـهْ
فَـلـم أزلْ خَـادِمًـا لَـهُـمْ زَمـنًـا حَـتَّـى تـبـيَّـنـتُ أنـهـم أَكَـلَـهْ!!

(١) تاريخ الإسلام (٤/ ٧٥٦).



**والتفسيرُ الصحيحُ لحال هؤلاء الأكَلَة**، هو ما قاله لي أحدُ الأطبّاء: إنّ سُرعةَ حَرْق الطعام عند هؤلاء الأكَلَة عاليةٌ جدًّا؛ فلذا هم يأكلون كثيرًا ولا يشبعون! بل وربما لا يَظهر عليهم السِّمَنُ!

**وهناك حالةٌ مَرَضيّةٌ تُسمَّى**: النُّهام العُصَابي، أو الشَّرَه المرَضي العصَبي، واسمُه الطبِّي: (البُوليميا)، (Bulimia nervosa)، وهو نوعٌ من أنواع اضطرابات الأكل. حيثُ يستهلك الأشخاصُ المصابون بالنُّهام العُصابي كمياتٍ كبيرةً جدًّا من الطعام في فتراتٍ زمنيةٍ قصيرةٍ جدًّا (نوبةُ نَهَم – Binge attack).

وبعد ذلك يلجأون إلى كل الوسائل المتاحة للتخلُّص من هذا الطعام (عملية تطهير). فمن الممكن أن يختاروا القيام بذلك عن طريق تقيّؤ الطعام، أو القيام بنشاطٍ رياضيٍ شديدٍ، أو استعمال أدويةٍ مُسْهِلَةٍ (Purgative)، ونحو ذلك.

ولعلَّ من هذا القبيلِ حالُ يزيدَ بنِ أبانَ الرَّقاشي، فإنه كان يقول: «غَلَبني بطني فما أقدرُ لَهُ على حِيلة!»[(١)].

❋❋❋

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٣٢/ ٧٠).

# الفصلُ الثاني

## أسماءُ الأَكَلَة



# الفصلُ الثاني

## أسماءُ الأَكَلَة

هـذا مَسْـرَدٌ بأسـماءِ الأَكَلَة الذين وقفـتُ عليهم، مع ذِكْر شـيءٍ من أخبارهم، ومن غرائبهم في هذا الباب. ولم أذكرْ فيه مِن أسماء الأَكَلَة إلّا مَنْ نُصَّ على مقدار أكْله فَحَسْب!

قال بهاءُ الدين ابنُ حمدون البغدادي (ت ٥٦٢ هـ): «وقد نُسب ذلك إلى جماعةٍ من الأكابر وذوي الهِمم والأخطار، آفةٌ اعترضتْ فضائلَهم، واتّباعٌ للشّهوات قد استولى على عقولهم»(١).

قلتُ: ليس كلُّهم كذلك!

وقـد رتبتُهم علـى الترتيـب الألفبائـي، وكان الأوْلـى ترتيبُهم على الأعصار، إلّا أنني آثرتُ الترتيبَ الألفبائي؛ تسـهيلًا لرجوع من شاء إلى تراجمهم، ولأنّ بعضَهم لا يُعرفُ تاريخُ وفاته تحديدًا.

❊❊❊

(١) التذكرة الحمدونية (٩/ ٩٧).

# أسماءُ الأَكَلَة

*** إبراهيم بن عبد الله بن حاتم الهروي، أبو إسحاق، نزيلُ بغداد (ت ٢٤٤ هـ):**

**قال إبراهيمُ بنُ إسـحاق الحربيّ:** «كان إبراهيمُ الهرويُّ حافظًا متقنًا تقيًّـا، ما كان هاهنا أحدٌ مثلَه. وكان يُديم الصيامَ، إلّا أنْ يأتيَه أحدٌ يدعوه إلى طعامه فيُفطر، وكان أكُولًا، كان يأكل حَمَلًا وحدَه!»(١).

***

*** أحمد بن إبراهيم الشيباني، أبو رِياش (ت ٣٣٩ هـ):**

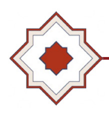
كان يُقال إنه يحفظ خمسةَ آلاف ورقةٍ لغةً، وعشرين ألفَ بيتِ شعرٍ!

**قال عنه الثعالبيُّ:** «كان أبو رياش باقعةً في حفظ أيام العرب وأنسابها وأشعارها، غايةً بل آيةً في هَذِّ دواوينها وسرد أخبارها، مع فصاحةٍ وبيان، وإعرابٍ وإتقان، ولكنه كان عديمَ المروءة، وَسِخَ اللّبسة، كثيرَ التقشّف، قليلَ التنظُّف ....

وكان مـع ذلك شَـرِهًا علـى الطعام، رجيمَ شـيطان المعـدة! حُوتيَّ الالتقام! ثُعبانيَّ الالتهام! سيّءَ الأدب في المؤاكلة!

دعاه أبو يوسف اليزيديُّ والي البصرة إلى مائدته، فلما أخذ في الأكل مدّ يده إلى بَضْعَةِ لحمٍ فانتهشَـها، ثم ردّها إلى القَصْعة!! فكان بعد ذلك

(١) تاريخ بغداد (٧/ ٣٢)، والمنتظم (١١/ ٣٢٣)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢/ ١٢٢). **والحَمَلُ**: الخَروفُ، وجَمعُهُ حُمْلانٌ. **انظر**: العين (٣/ ٢٤٠).



إذا حضر مائدتَه أمر بأن يُهيَّأَ له طبقٌ ليأكلَ عليه وحدَه!

ودعاه يومًا الوزيرُ المهلبيُّ إلى طعامه، فبينا هو يأكل معه إذِ امتخط في مِنديل الغَمَر[1] وبزق فيه! ثم أخذ زيتونةً من قَصْعةٍ فغَمَزَها بعُنفٍ حتى طَفَرَت نواتُها فأصابت وجهَ الوزير! فتعجّب من سوء شَرَهِه، واحتَمَلَه لفَرْط أدبه!

وفي شَرَه أبي رياشٍ يقول ابنُ لَنْكَك ما هو في نهاية الملاحة وحُسْن التعريض:

يَطيرُ إلى الطعامِ أبو رياشٍ ... مُبادرةً، ولو واراهُ قبرُ!

أصابعُه من الحَلواءِ صُفْرٌ ... ولكنَّ الأخادِعَ منه حُمْرُ!»[2]

❊❊❊

❊ **أحمد بن أبي خالد يزيد بن عبد الرحمن الأحول:**

وزيرُ المأمون، وأحدُ الدُّهاة!

كان أكولًا نَهِمًا مُلتهِبَ المعِدة، لا يصبر على تأخير الغداء.

وكان المأمونُ إذا وجَّهه في حاجةٍ، أمره أن يتغدَّى ثم يمضي!

---

(١) **مِنديل الغَمَر** - بفتح الغين والميم -: هو المنديل الذي يمسح به الآكل الزُّهومة عن يده. إسفار الفصيح (٢/ ٨٠٧).

(٢) يتيمة الدهر (٢/ ٣٥١)، ومعجم الأدباء (١/ ١٨١).

**والأَخْدَعُ**: عِرْقٌ في صَفْحَةِ العُنُق. شمس العلوم (٣/ ١٧٣١).

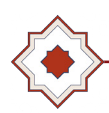
**ومعناه**: أنّ أخادعه قد احمرَّت من كثرة الصَّفْع!

**فرُفـع إلى المأمون**: إنْ رأى أميـرُ المؤمنين أنْ يُجـريَ على ابن أبي خالد نُزُلًا؛ فإنّ فيه كَلْبيةً! إلا أنَّ الكلبَ يحرس المنزلَ بكِسْرةٍ، وابنُ أبي خالد يَقتل المظلومَ ويُعين الظالمَ بأكْلةٍ! فأجرى عليه المأمونُ في كلّ يومٍ ألفَ درهمٍ لمائدته! حتّى قال في ذلك دَعْبل:

| | |
|---|---|
| شَـكَرْنا الْخَلِيفَةَ إجْرَازَهُ | على ابْنِ أبي خالـدٍ نُزْلَهُ |
| فَكَفّ أَذَاهُ عَن الْمُسلمينَ | وصَـيّـرَ فِـي بَيتِهِ أكْـلَـهُ |
| وَقد كَانَ يَقسِمُ أشْغالَهُ | فصَيّر فِي نَفسِـه شُـغْلَهُ! |

**ومـمّـا يُروى عنه في ذلك**: أنَّ المأمونَ ولَّى دينـارَ بنَ عبد الله الجبلَ، ثــم صرفه ووجَد عليه، فأرسـل إليه أحمدَ بنَ أبـي خالد، **وقال له**: امضِ إلى هذا الرجل وحاسِـبْه، وتقـدّمْ إليه يَحملْ ما يَحصُلُ لنـا عليه، وأنفَذَ معه ياسرَ الخادمَ ليُنهِي إليه ما يكون منه، وقال له: امضِ معه وانظرْ، فإن تغدَّى أحمدُ عنده كان معه علينا، وإن لم يتغدَّ كان معنا عليه!

ولـمـا اتصل خبرُ أحمدَ بنِ أبي خالد بدينارِ بنِ عبد الله، قال للطبّاخ: إنَّ أحمـدَ أشـرهُ من نُفخَ فيه الـروحُ! فإذا رأيتَه فقل له: مـا الذي تأمرُ أنْ يُتَّخَـذَ لك؟ ففعـل الطبّاخُ، فقـال أحمدُ: فراريجُ كسـكريةٌ بمـاء الرمَّان تُقدَّم مع خبز الماء بالسـميد، ثم هاتِ بعدَها ما شـئتَ! فابتدأ الطبّاخُ بما أمـرَ، وأخذ أحمدُ يُكلِّم دينارًا، فقال له: يقـول لك أميرُ المؤمنين: إنَّ لنا قِبَلـكَ مالًا قد حبسـتَه علينا، فقال: الذي لكم ثمانيـةُ آلافِ ألفٍ (ثمانية ملاييـن!)، قـال: فاحملْها، قال: نعم، وجـاء الطبّاخُ فاسـتأذن في نَصْب



المائـدة، فقال أحمدُ: عَجِّلْ بها فإني أَجْوَعُ مـن كلبٍ! فقُدّمت وعليها ما اقترحَ، وقُدِّمَ الدجاجُ وعشـرون فَرُّوجًا كسـكريةً، نصفُها بماء الحِصْرم، ونصفُها بماء الرمَّان، فأكل أكلَ جائعٍ نَهِمٍ، ما ترك شيئًا مما قُدِّم! ثم نُقِّل الحارَّ والباردَ فما مرَّ لونٌ إلا أَثَّر فيه! فلما فرغ وقدّر الطبّاخُ أنه قد شـبع، لوّح بطيفوريةٍ[(١)] فيها خمسُ سـمكاتٍ شبابيطَ كأنها سبائكُ الفِضَّة، فقال لـه أحمدُ: قطع اللهُ يمينَـك! ألَا قدّمتَ هذا؟ ولكن هاتِهـا، فوضعَها بين يديه، فأكلَ أكلَ مَن لم يأكلْ قبلَه شيئًا!!

ثم رُفعت المائدةُ وغسّلوا أيديهم، وأعاد أحمدُ الخطابَ، فقال دينارٌ: أليـس قد عرَّفتكَ أن الباقي لكم عندي سـبعةُ آلافِ ألفٍ؟! قال: أحسـبُكَ اعترفـتَ بأكثـرَ منهـا، فقـال: ما اعترفـتُ إلا بها، فقـال: هـاتِ خطَّك بما اعترفـتَ به، فكتب بسـتة آلافِ ألفٍ! فقـال أحمدُ: سـبحانَ الله! أليس قد اعترفتَ بأكثرَ من هذا؟! قال: ما لكم قِبَلي إلّا هذا المقدار! فأخذ خطَّه بها.

وتقـدّم الخـادمُ، فأخـبر المأمونَ بما جـرى، فلما ورد أحمـدُ ناوله الخـطَّ، فقال: قـد عرفْنا ما كان من الألـفِ ألفٍ بتناول الغـداء؛ فما بالُ الألفِ ألفٍ الأخرى؟!

فكان المأمونُ بعد ذلك يقول: ما أعلم غداءً قام على أحدٍ بألفيْ ألفٍ (مَليونيْن!) إلا غداءُ دينارٍ! واقتصر على الخطِّ ولم يَتعقّبْه كَرَمًا ونُبلا[(٢)].

---

(١) **الطيفوريّة**: طبقٌ مقعَّرٌ عميقٌ. تكملة المعاجم العربية (٧/ ٥٨).

(٢) **انظـر**: إعتـاب الكتّـاب (ص: ١٠٩)، والتذكـرة الحمدونيـة (٩/ ١٠٢)، ونثـر الدرّ في المحاضرات (٢/ ١٧٨)، ونهاية الأرب في فنون الأدب (٣/ ٣٤٥).

وقـال المأمـونُ يومًـا لأحمد بن أبـي خالد: أُغْـدُ عليَّ باكـرًا لآخُذ القَصَـص (طلبات الناس وحاجاتهم) التـي عندك فإنها قد كثرت، لنقطعَ أمـورَ أصحابها فقد طال صبرُهم علـى انتظارها، فبكَّر وقعد له المأمون، فجعـل يعرضها عليه ويوقِّع عليها، إلى أنْ مَـرَّ بقَصَّة رجلٍ من اليزيديين يقال لـه: فلان اليزيدي، فصحَّف وكان جائعًـا فقال: الثريدي! فضحك المأمـونُ وقـال: يا غلامُ، ثريدةٌ ضخمةٌ لأبي العبـاس فإنه أصبح جائعًا، فخجـل أحمدُ وقال: ما أنا بجائع يا أميـرَ المؤمنين، ولكنَّ صاحبَ هذه القَصَّـة أحمقُ وضع نِسـبتَه ثلاثَ نُقَطٍ. قال: دعْ هـذا عنك فالجوعُ أضرَّ بـك حتى ذكرتَ الثريد! فجاؤوه بصحْفـةٍ عظيمةٍ كثيرة العُراق (العِظام) والوَدَك، فاحتشـم أحمـدُ، فقال المأمون: بحياتي عليـك (!) لَـمَا عدلْتَ نحوَهـا، فوضع القَصَـص ومال إلى الثريد فأكل حتـى انتهى، والمأمونُ ينظر إليه فلما فرغَ، دعا بطسـتٍ فغسـل يده ورجع إلى القَصَص، فمرّت بـه قَصَّة فلان الحِمْصي فقال: فـلان الخَبيصي! فضحك المأمونُ وقال: يـا غلامُ، جامًا ضخمًا فيـه خَبيصٌ [١] فإنَّ غداءَ أبـي العباس كان مبتورًا! فخجـل أحمدُ وقال: يـا أميرَ المؤمنين صاحب هـذه القَصَّة أحمق، فتح الميـمَ فصـارت كأنها سِـنَّتَيْن! قـال: دعْ عنك هـذا فلولا حُمقـه وحُمق صاحبـه لـمُتَّ جُوعًـا! فجاؤوه بجامِ خبيصٍ فخجـل. فقال له المأمون: بحياتي عليك (!) إلا مِلْتَ إليها، فانحرف فانثنى عليه، وغسل يده ثم عاد

---

(١) **الخَبِيـصُ**: حلـوى تُصنـعُ من التَّمْرِ والسَّـمْنِ. **انظـر**: القاموس المحيـط (ص: ٦١٦)، ومختار الصحاح (ص: ٨٧).



إلى القَصَص، فما أسقط حرفًا حتى أتى على آخرها![1].

وقال أبو الحسن: كنتُ أجلس في مجلس أبي ببغداد إلى أن يعود من رُكوبه، وكان يأمرني إذا أبطأ فحضره إخوانُه وطلبوا الطعامَ، أنْ أُخرجَ الطعامَ إليهم، فما كان أحدٌ منهم يطلب الطعامَ إلا أحمدَ بنَ أبي خالد! فإنه كان يقول لطباخ كان لأبي تركيٍّ: أعندك العَدَسِيّة؟[2] فيقول: نعم. فيُؤتى بها، فيأكل منها أكلَ عشرةٍ! ويغسل يدَه، وينتظر أبي حتى يأتي، فيأكل معه كأنه لم يأكل شيئًا!![3].

❀❀❀

❀ أسندمر بن عبد الله الكَرَجي، الأمير سيف الدين، نائب طرابلس (ت ٧٢١ هـ):

قال عنه الحافظُ ابنُ حجر: «كان جبارًا، سفَّاكًا للدماء، شجاعًا، حسنَ الشَّكل، مديدَ القامة، وكانت له سُمعةٌ ببلاد العدوّ، وسطوةٌ في النصيرية من الزنادقة. وبلغتْ عِدَّةُ مماليكه خمسمائة!

وكان أكُولًا، بحيثُ كان يُعمل له عَشاؤه: خروفٌ مُطَجَّنٌ[4]، فيستوفيه أكْلًا! ثم يَعمل لنفسه صحنَ حَلْواء يأكلُه وحدَه!»[5].

---

(١) كتاب بغداد لابن طيفور (ص: ١٢١)، والوافي بالوفيات (٨/ ١٧٧).

(٢) العَدَسِيَّة: حِساءٌ يُصنع من العدَس واللحم ويطبخ بالثوم والبصل. وانظر: حاشيتا القونوي وابن التمجيد على البيضاوي (٣/ ٣٣٧).

(٣) كتاب بغداد (ص: ١١٩).

(٤) المُطَجَّن: المقليُّ فِي الطاجن. والطاجنُ: المِقْلاة. المعجم الوسيط (٢/ ٥٥١).

(٥) الدرر الكامنة (١/ ٤٦١).

وانظر: المنهل الصافي (٢/ ٤٤٥)، وأعيان العصر وأعوان النصر: للصفدي (١/ ٥٣٥).

**وقـال المقريزي:** «كان أكـولًا، نَهِمًا، قويَّ المعـدة، إذا أصبح ابتدأ بالفطـور على زنجبيل مُربَّى[1] فيأكلُ منه رِطـلًا بالميزان! وقُدّم له مِنقَلُ نارٍ[2] عُمل عليه مائةُ بيضةٍ نِيمرشْـتْ[3] يشـربها! ثمّ يركب، فإذا نزل من الرُّكـوب مُـدَّ له السِّـماطُ، وقُدّمت له خافقيّـةٌ فيها رَميسٌ[4] فيأكلُه عن آخره! ويُرفع السِّـماطُ، ويُوضَع الطاري[5]، وتُقدّم له خافقيّةٌ فيها عشـرةُ ديوكٍ خِصًى سمانٍ جدًّا، فيأكل منها ستّةً!!

هذا غيرُ الحلاوات والفواكه والنُّقْل، وغيرُ عشائه آخرَ النهار، وسوى مـا يأكلُـه في الليل، فإنّه كان يُعمل له بعد العِشـاء الأخيرة كلَّ ليلةٍ خروفًا سـمينًا مُطَجَّنًا[6]، فيأكلُه جميعَه ولا يَفضُل منه شـيءٌ! ثم يَعملُ بيده من الحلاوة السكب صحنًا كبيرًا ويأكله كلَّه!!

وكان مرتَّبُـه وهـو بمصر في كلّ يوم سـبعمائةَ رطلِ لحـمٍ من ديوان السـلطان تُحمل إليه، ويشـتري عليها خمسـمائة درهم. وكان له سِماطٌ عظيمٌ جدًّا!!»[7] .

---

(١) **مُربَّى:** أي معقودٌ بالسكّر.

**تنبيـه:** جميع ما سأُورده هنا من شـرحٍ لكلمات هذه القصة هو لمحقـق كتاب «المقفّى الكبير»، فليُعلم.

(٢) **المِنْقَل:** جَفنةٌ من حديدٍ تُعمَر بالجمر؛ للشيّ.

(٣) **بيضةٌ نيمرشتْ أو نيمبرشتْ:** مسموطةٌ ومنعقدةٌ (دوزي).

(٤) **الخافقيّة:** جَفنةٌ واسعةٌ. **والرميسُ:** الخروف المشوي.

(٥) لم نفهم الطاري، ولعلّه اللحمُ الطريُّ (دوزي).

(٦) كذا في المصدر، والصوابُ الرفعُ فيها كما في المصدر الذي قبله.

(٧) المقفى الكبير (٢/ ١١٠).



## * بـلالُ بنُ أبي بُرْدة الأشـعري أبو عمر، أميـرُ البصرة وقاضيها (ت نحو ١٢٦ هـ) :

كان ذا رأيٍ ودهـاءٍ، وفد على عمر بن عبد العزيز، فرآه لا يَنفُقُ عنده إلا التقوى والديانة، فلزم المسجدَ والصلاةَ ليخدع عمرَ، فدسَّ إليه عمرُ من سارّه فقال: إنْ كلّمتُ لك أميرَ المؤمنين أنْ يُولّيك البصرةَ ما تُعطيني؟ فوعده بمائة ألف، فأبلغ ذلك عمرَ بنَ عبد العزيز فنفاه عنه وأبعده. وقال: يا أهلَ العراق، إنَّ صاحبَكم أُعطِيَ مقولا ولم يُعطَ معقولا، زادتْ بلاغتُه ونقصتْ زهادتُه![١].

وكان بلالٌ هذا أكُولًا، **قال قصَّابُه:** جاءني رسـولُه سَحْرةً فأتيتُه وبين يديـه كانـونٌ فيه جمرٌ وتيـسٌ ضخمٌ، فقـال: دونَكَ هذا التيـسَ فاذْبحْه، فذبحتُه وسـلختُه، فقال: أَخْـرِجْ هذا الكانونَ إلى الرُّواق وشَـرِّحْ اللحمَ وكَبّبْـه على النار، فجعلتُ كلما استـوى شـيءٌ قدمتُه إليـه، حتى لم يبقَ من التيس إلا العظامُ! وقطعةُ لحمٍ على الجمر، فقال لي: كُلْها، فأكلتُها، ثم شـرب خمسـةَ أقداحٍ، وناولني قَدَحًا فشـربتُه فهـزّني! وجاءته جاريةٌ ببُرْمـةٍ فيها ناهِضان[٢]، ودجاجتان، وأرغفـةٌ، فأكل ذلك كلَّه!! ثم جاءته جاريةٌ أخرى بقَصْعةٍ مغطّاةٍ لا أدرى ما فيها، فضحك إلى الجارية، فقال: ويحـكِ! لم يبـقَ في بطني موضـعٌ لهذا فضعيها على رأسـي! فضحكتِ الجاريـةُ وانصرفتْ، فقال لي: الحقْ بأهلـك. فرجعتُ وقد طلع الفجر،

(١) تاريخ الإسلام (٣/ ٣٨٠).

(٢) **الناهض:** هو الفَرْخ الَّذِي قد وَفَر جَناحَاه ونَهَض للطَّيران. المخصص (٢/ ٣٢٣).

وأنا أجد دبيبًا في رأسي من القَدَح الذي شربتُه![1].

**وقال سـعيدُ بنُ عامر**: دخل محمدُ بنُ واسـع على الأمير بلال بن أبي بردة، فدعاه إلى طعامه، فاعتلَّ عليه، فغضب، وقال: إني أراك تكره طعامَنا. قال: لا تقلْ ذاك أيها الأميرُ، فوالله لخيارُكم أحبُّ إلينا من أبنائنا![2].

وجاء في محاضرات الأدباء[3]: «وكان بلالُ بنُ أبي بردة أكُولًا، وفيه يقول الحسـنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يتّكئُ على شـمالِه، ويأكل غيرَ مالِه، حتى إذا كَظَّه الطعامُ يقول: ابغوا لي هاضُوما! قيل: وهل تَهضِمُ إلا دينَك؟!».

❊❊❊

## ❊ جمال الدين بن محبّ الدين، المعروف بالجُنيد الدمشقي الشافعي (ت ١٠٧٨ هـ):

يشـتهرُ أهلُه ببني الكوكيّة، وينتهي نسـبُهم إلى معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كان مشهورًا بالشَّرَه في الأكل!

**حتى قال فيه الأديبُ إبراهيمُ بنُ محمد الأكرمي:**

وذِي شَـرَهٍ مُـغْـرَمٍ بالطعامِ ... يَسيرُ على بَطنِه أيَّ سَيْرْ

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام (٣/ ٣٨٠)، ونثر الدر في المحاضرات (٢/ ١٨١)، والوافي بالوفيات (١٠/ ١٧٥)، وشرح نهج البلاغة (١٨/ ٤٠٠).
(٢) سير أعلام النبلاء (٦/ ١٢٢).
(٣) (١/ ٧٣٢).



تـراهُ إذا مُـدَّ زاهـي الطعـامِ      وصُـفَّ بـأنـواعِ لُـطْفٍ وخَيْرْ
يَـمُـدُّ يـدًا جُـنَّ مِـنْ قَبلِها      ويَـخلِطُ كـلَّ الطعامِ بغَيْرْ!

ونُقل عنه أنه حضر في ضيافةٍ عند أحد الأعيان بدمشق، فخَلَطَ في الطعام على عادته، فأنكر فعلَه بعضُ من كان في المجلس، فلما تنبّه لإنكاره أنشده قولَ الحريري:

سَـامِـحْ أخـاكَ إذا خَـلَـطْ!

فذيَّل له الـمُنكِرُ هذا المِصْراعَ بقوله:

في الـرُزِّ والـزَّرْدَا فَـقَـطْ![1]

وقال الـمُحبّي: «حكى لي والدي المرحوم أنه حضر سِماطًا وأمامَه الجُنيد، فبالغ في النُّهْمة! وكان في المجلس بعضُ الأدباء، فأنشد قولَ أبي محمد القزويني الضرير في رجلٍ أكُولٍ:

وصاحـبٍ لـي بطنُـه كالهاويـهْ      كـأنَّ في أمـعـائِـهِ مُـعـاويـهْ!

قال لي الوالدُ: وهذا البيتُ قد ذكره الثعالبيُّ في «اليتيمة» واستجاد وَجازةَ لفظه، ووقوعَ الأمعاء إلى جنب معاوية. ومَزيَّـةٌ ثالثةٌ وهي كونُ الذي أُنشد فيه من نسل معاوية!»[2].

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (١/ ٤٩١).
والزَّرْدَا: نوعٌ من الطعام يُصنع من الأرزّ والسكّر أو العسل، كان يُصنَع في التكايا. معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية (٤/ ٢٠) بتصرف.
(٢) المصدر نفسه (١/ ٤٩١).

وسيأتي البيتُ في ترجمة معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وحضر ليلةً في دعوةٍ كان فيها حافظُ المغرب أبو العباس أحمدُ المقَّري وأحمدُ بنُ شاهين، فلما قُدِّمَ الطعامُ قام الجُنيد وتوضأ وصلى بعضَ ركعات، فقال المقَّري مُستجيزًا:

قامَ الجُنيدُ يُصلِّي ... ونحنُ نأكلُ عنهُ!

فأجابه ابنُ شاهين:

تَقبَّلَ اللهُ مِنّا ... ولا تَقبَّلَ منهُ!

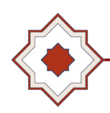
❋❋❋

### ❋ الحَجَّاج بن يوسف بن الحكم الثقفي (ت ٩٥ هـ):

هو الأميرُ المُبيرُ المشهورُ، كان عظيمَ الأكل!

**قال سَلْمُ بنُ قُتيبة الباهليّ:** كنتُ في دار الحَجَّاج مع ولده وأنا غلامٌ، فقالوا: قد جاء الأميرُ، فدخل الحَجَّاجُ، فأمر بتنُّورٍ فنُصِبَ، وقعد في الدار، وأمر رجلًا أن يَخبزَ له خُبزَ الماء، ودعا بسمك، فجعلوا يأتونه به في جامٍ وقد نُقِّي من شَوكه، فيأخذ الرغيفَ حارًّا فيضع عليه السمك، فيأكله، حتى أكل ثمانين جامًا من السمك، بثمانين رغيفًا من خُبز المَاء!![(١)].

(١) **انظر**: أنساب الأشراف (١٣/ ٣٧٥)، ونثر الدرّ في المحاضرات (٢/ ١٨٢)، والتذكرة الحمدونية (٩/ ٩٨)، وشرح نهج البلاغة (١٨/ ٤٠٠)، ونهاية الأرب في فنون الأدب (٣/ ٣٤٣).



**وفي روايـةٍ قـال**: عَدَدْتُ للحَجَّـاج أربعًا وثمانين لُقمـةً، في كلِّ لقمةٍ رغيفٌ من خبز الماء، فيه مِلءُ كفّه سمكٌ طريٌّ![1].

❁❁❁

## ❁ الحســن بن رحال بن أحمـد بن علي التدْلَاوي ثـم المعداني (ت ١١٤٠ هـ):

كان كثيرَ العيال، كثير التزوّج، مِطْلاقًا، ولد عدةَ أولاد، أفنى الموتُ الكثيرَ منهم، وكان أكُولًا.

**قـال بعضُهم**: بـات عنده ضيفٌ فأتـى بطعامٍ كثيرٍ في إناءٍ كبيرٍ يُشـبِعُ جماعـةً من النـاس، فأكل الضيـفُ مثل عادتـه، وأكل المترجَـمُ جميعَ الطعـام الذي بقي، وشـرب ما يناسـبه مـن اللبن العقيـد، وبقي الضيفُ متعجِّبًا! وبات يُطالعُ إلى أنْ طلع الفجرُ فصلى الفجرَ والصبحَ، ثم جلس للمطالعة إلى أن خرج للتدريس فجلس يدرِّس إلى الزوال على عادته!

وكان قليـلَ النوم، كلمـا أدام الأكلَ زادت قُواه في المطالعة!! وذلك أمرٌ عجيبٌ لمخالفته للعادة، فقد اتفق الأطباءُ على أن كثرةَ الأكل تُورث النومَ، والعكسُ بالعكس، واللهُ على كل شيء قديرٌ.

ومســتَنَدُ ما اتفق عليه الأطباءُ هو العادةُ؛ لأنَّ كثرةَ الأكل ينشـأ عنها السِّمَنُ وكثرةُ الدم، وهما يقتضيان كثرةَ النوم!

---

(١) **انظر**: عيون الأخبار (٣/ ٢٢٨)، والمجالسـة وجواهر العلم (٦/ ٢٤٤)، وبغية الطلب في تاريخ حلب (٥/ ٢٠٦١).

ومن لطيف شعره في الحثّ على الأكل! قولُه :

إيـاكَ والتفريطَ في الأقْـواتِ فَـهْـيَ قِـوامُ الـديـنِ والـحـياةِ!
مَـعْ فِتنـةٍ ومِحْنـةٍ قـدْ عَظُمتْ في ظـاهـرٍ وبـاطـنٍ كـما ثبتْ
سِـيَّمَا في مَغْرِبِنا وشِبْهِـهِ فـاجْهَدْ لما ذكـرتُه وانتبـهِ[1]
فالقُـوتُ رُوحُ الجسـمِ والحياةُ وفقـدُه طبعًـا هـو الممـاتُ![2]

***

* حُسَين الكُرْدِي، أمير جُدَّة (ت ٩٢٣ هـ) :

مـن أمراء الجيـش في أيام السـلطان قانصُوه الغُـوري. كان ظَلومـًا، غَشومـًا، سفّاكًا للدماء!

ولمـا تولّى جُدّة سـوَّرها وبنـى أبراجَها وأحكمَها، وهـدم كثيرًا من بيوت الناس مما يقارب موضع السـور لوضع الأساس، واستخدم عامة الناس في حمل الحجر والطين، حتى التجار المعتبرين وسائر المتسبِّبين، وضيّق علـى البنّائين؛ بحيث يُحكى أنّ أحدَهم تأخّر قليلًا عن المجيء، فلمـا جاء أمر أن يُبْنَى عليه، فبُني عليه! واسـتمرّ قبرُه في جوف البناء إلى

(١) هكذا البيتُ في المصدر!
والصواب: لاسيّما في مغربٍ وشِبهِهِ ....
(٢) انظر ما تقدم في: إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس: للسجلماسي (٣/ ١٥ – ١٧).



يوم الجزاء، إلى غير ذلك من الظلم الشديد والجَوْر العتيد، وبنى السورَ جميعَه في دون عامٍ من شدّته وغَشَمه، وإقدامه وظُلمه!

ولكنّ الله انتقم منه سريعًا، فعندما تولّى السلطانُ سليمُ خان ابنُ بايزيد خان، أرسل أمرًا إلى والي مكة إذْ ذاك الشريف بركات بقتل حسين الكردي، فأُخذ مقيَّدًا إلى جُدّة، ورُبِطَ في رِجله حجرٌ كبيرٌ وأُغرق في بحر جُدّة، في موضع يقال له: أمُّ السَّمك (أو المِسْك)، فأكلتْه الأسماك، بعد أن كان يُعَدُّ من الأملاك!

ومع هذا فقد كانت له أسْمِطةٌ ممدودةٌ في سائر الأيام، وكان أكُولًا بَذولًا للطعام، سمْحًا في المؤاكلة والإطعام، يستوفي الخروفَ وحدَه، مع أرغفةٍ عِدَّة، ونفائسَ له مُعدَّة!![1].

❊❊❊

❊ **حنظلة بن عِقال بن صعصعة:**

**قال المدائنيُّ**: كان حنظلةُ بنُ عقالٍ أكُولًا، فأكل عند سليمان وهو يرتجز:

أعددتُ للفَمِّ عَظيمَ الفِلَقِ  تكادُ أطرافُ الرغيفِ تلتقي!

يعني أنه يكاد يستوعبُ الرغيفَ كاملًا في لقمةٍ واحدةٍ!

---

(١) **انظر**: سمط النجوم العوالي (٤/ ٦٤)، وإفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام (٦/ ٤٠٦ - ٤٠٨)، والأعلام (٦/ ٥٢).

وكان أكَلَ عند سـليمان بن عبد الملك، وكان سـليمانُ أكُولًا يُحب أن يأكَلَ عنده الرجلُ الأكُولُ![1].

❋❋❋

### ❋ سليمان بن عبد الملك بن مروان الأموي المشهور (ت ٩٩ هـ):

أشهرُ الأكَلَةِ على الإطلاق! حتى قال صاحبُ «شرح نهج البلاغة»[2]: «كان سليمانُ بنُ عبد الملك المصيبةَ العُظمى في الأكل»!

كان أكُولًا شَرِهًا نَكَّاحًا، يأكل كلَّ يومٍ نحوًا من مائة رطلٍ وأكثر!![3].

**وقال المسعوديُّ:** «كان سليمانُ صاحبَ أكلٍ كثيرٍ يَجوز المقدار!»[4].

**وقال الواقديُّ:** «كان شَـرِهًا أكُولًا؛ يأكل في اليوم مئةَ رَطْل، ويتناول في سـاعةٍ واحـدةٍ أربعينَ رُقاقةً مع عِـدّة خِرفـان! وكان نِكاحُه على قدر أكله!»[5].

وكانـت الناسُ في أيامـه مُنهمِكون علـى المآكِل من سـائر الأنواع، يتغالَوْن في شراء الطبَّاخات الماهرات، ويلقى الرجلُ صديقَه لا يكون له

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري (٨/ ١١١) و(١٢/ ١٠٤).

(٢) (١٨/ ٣٩٨).

(٣) كنز الدرر وجامع الغرر (٤/ ٣٢٣)، ومروج الذهب (٣/ ١٨٤)، ونهاية الأرب في فنون الأدب (٢١/ ٣٥٣).

(٤) مروج الذهب (٣/ ١٨٤).

(٥) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (١٠/ ١٩٧).



معه خطابٌ إلا ما أكلتَ اليومَ؟! وما تعشيتَ البارحةَ؟![1]. والناسُ على دينِ ملوكِها! كما قيل في الأمثال[2].

**ويُروى عنه أنه قال:** «قد أكلنا الطيّب، ولبسنا الليّن، وركبنا الفَارِه، ولم يبقَ لي لذةٌ إلا صديقٌ اطَّرح معه فيما بيني وبينه مُؤْنةَ التحفُّظ»[3].

وقد تقدّم في المبحث الخامس سببُ موته، وأنه كان بسبب أكْلَةٍ من أكْلاته الجائحة!

**أمّا ما نُقلَ من أخبار أكله فهي كثيرةٌ جدًّا تصلحُ للاستلال، لكنني سأذكر طرفًا منها هنا دون استقصاء.**

### فمن أخبارِ أكْلاته الشهيرة:

أنه كان ربما أتاه الطبَّاخون بالسفافيد التي فيها الدجاجُ المشويّةُ وعليه جُبّةُ الوَشْي المثقَلَة، فلشدّة نَهَمِه وحرصِه على الأكل يُدخل يدَه في كُمِّه حتى يقبضَ على الدجاجة وهي حارّةٌ فيَفصِلَها!

---

(١) كنز الدرر وجامع الغرر (٤/ ٣٢٤) بتصرف يسير.
وكذلك قلّده الناسُ في لُبس ثياب الوَشْي! (وهي الثياب الملونة المنقوشة من الإبريسَم وهو الحرير).
**قال المسعودي:** «كان يلبس الثياب الرِّقاق وثياب الوَشْي، وفي أيامه عُمل الوَشْيُ الجيدُ باليمن والكوفة والاسكندرية، ولبس الناسُ جميعًا الوَشْيَ جِبابًا وأرْدِيَةً وسراويلَ وعمائمَ وقلانسَ! وكان لا يدخل عليه رجلٌ من أهل بيته إلا في الوَشْي، وكذلك عُمّالُه وأصحابُه ومن في داره، وكان لباسَه في ركوبه وجلوسه على المنبر، وكان لا يدخل عليه أحدٌ من خُدّامه إلا في الوَشْي، حتى الطبّاخ!» مروج الذهب (٣/ ١٨٤).

(٢) **انظر:** مجمع الأمثال (٢/ ٣٥٨).

(٣) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (١٠/ ١٩٧).



وكان إذا حضـرتْ الحِمْـلانُ المشـويّةُ بين يديه، تُعجِبُـه الكُلَى ولا يُمهِل عليها، فيَلفُّ يدَه بكُمِّ ملبوسـه ويتنـاول الكُلَى من جوف الحَمَل؛ ليدفع عن يده حرارتَها!

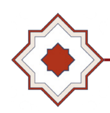
قال الاصمعيُّ: ذكرتُ للرشـيد نَهَمَ سليمان وتناوله الفراريجَ بكُمِّه من السـفافيد! فقال: قاتلك اللهُ فما أعلمك بأخبارهم! إنه عُرِضتْ عليَّ جِبـابُ بنـي أمية، فنظرتُ إلى جِباب سـليمان وإذا كلُّ جُبَّةٍ منها في كُمِّها أثرٌ كأنه أثرُ دُهنٍ، فلم أدرِ ما ذلك حتى حدثْتني بالحديث. فهمس بشيءٍ لبعـض الخدم الوقـوف، فأُحضر قِمَطْـرٌ يحمله خادمـان، فوضعوه بين يديـه. وأمر بفتحه، وأَخرج منه ثيابًا مُلونةً مـن الديباج الملكي المذهَّب الـذي لا يصلـح إلا للخلفاء والملوك، وأكمامُ جميعهـا من جهة اليمين غارقـةٌ بالدهـن. فنظرْنا فإذا تلك الآثـارُ فيها ظاهرةٌ، فكسـاني منها جُبَّةً، فـكان الأصمعيُّ ربما يخرج أحيانًا فيها، فيقول: هذه جُبَّةُ سـليمان التي كسانيها الرشيد![1].

وذُكـر أنّـه خرج من الحمَّام ذاتَ يومٍ وقد اشـتدَّ جوعُه، فاسـتعجل الطعـامَ، ولم يكن فُرغَ منه، فأمر أن يُقدَّم عليه ما لحق من الشِّـواء، فقُدِّم إليه عشـرون خروفًا، فأكل أجوافَها كلَّها مع أربعين رُقاقة! ثم قُرِّبَ بعد ذلك الطعامُ فأكل مع نُدمائه كأنه لم يأكلْ شيئًا![2].

---

(١) مروج الذهب (٣/ ١٨٥) كنز الدرر وجامع الغرر (٤/ ٣٢٥)، ومرآة الزمان في تواريخ الأعيان (١٠/ ١٩٧).

(٢) مروج الذهب (٣/ ١٨٥).



ولما حَجَّ تأذى بحَرِّ مكة، فقال له عمر بن عبد العزيز: لو أتيتَ الطائف! فأتاها، فلقيه ابنُ أبي زُهير الثقفي فسأله أن ينزلَ عليه، فقال: إني أخاف أن أبهظك! فقال: قد رزق الله خيرًا كثيرًا، فرمى بنفسه على الرمل، فقيل له: يُساق إليك الوطاءُ. فقال: الرمْلُ أحبُّ إليّ. وأعجبه بَرْدُه، فألزق بالرمْل بطنَه. فجعل يأتيه من حائطه وهو فيه، بخمس رمانات خمس رمانات حتى أكل مائةً وسبعينَ رمانةً! ثم أكل خروفًا، وستَّ دجاجاتٍ، وعشرينَ رُقاقةً! ثم أُتيَ بمكُّوك[1] زبيبٍ طائفيٍّ فأكله! ونعس، فلما انتبه أتوه بالغداء، فأكل كما أكل الناس! وفتح ابنُ أبي زهير أبوابَ الحيطان فأكل الناسُ من الفاكهة، فأقام يومَه، ومن غدٍ قال لعمر: أرانا قد أضررْنا بالقوم. وقال لابن أبي الزهير: اتبعْني إلى مكة. فلم يفعلْ، فقالوا له: لو أتيتَه! فقال: أقول ماذا؟ أعطني ثمنَ قِرايَ الذي قَريتُه!؟[2].

---

(١) المَكُّوك: مِكيالٌ، وقيل: طاسٌ يُشرب به، وجمعُه مكاكيك، واختُلف في تقديره على عدة أقوال:

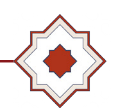
أحدها: أن مقدارَه صاعٌ ونصفٌ.

والقول الثاني: أنه نصفُ ويبة، والويبة (٢٣) كيلو ونصف تقريبًا، أو أحد عشر مُدًّا.

والقول الثالث: أنه ثلاث كِيلَجات. وهو اختيارُ أهل اللغة.

وعلى اعتبار هذا الاختيار فإن مقدار المكُّوك يعادل (٤٥٩٠) جرامًا، حيث إن مقدارَ الكِيلَجة = (١٥٣٠) جرامًا. **انظر**: مجلة البحوث الإسلامية، عدد (٥٩) (ص: ١٨٧).

(٢) **انظر**: أنساب الأشراف (٨/ ١١٠)، ومرآة الزمان في تواريخ الأعيان (١٠/ ١٩٧)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ١٦٤)، وسمط النجوم العوالي (٣/ ٣٠٦)، والوافي بالوفيات (١٥/ ٢٤٥).

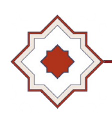


وقــال لأصحابه الذين كان يأنس بهم يومًا: إني قد أمرتُ قَيِّم بســتانٍ لي أن يَحبسَ عليَّ الفاكهةَ ولا يَجني منها شــيئًا حتى يُدرِكَ، فاغْدُوا عَليَّ مـع الفجر، لنأكلَ الفاكهةَ في بَرْد النهــار. فغدونا في ذلك الوقت، وصلى الصبح وصلينا، فدخلنا معه، فإذا الفاكهةُ متهدِّلةٌ على أغصانها، وإذا كلُّ فاكهــةٍ مختارةٍ قد أدركتْ كلُّها، فقال: كُلوا. ثم أقبل عليها وأكلْنا بمقدار الطاقــة، وأقبلنا نقول: يا أميرَ المؤمنين، هــذا العنقودُ، فيَخْرُطُه في فِيه! يا أمير المؤمنين هذه التفاحةُ، وكلما رأينا شــيئًا نضيجًا أومأنا إليه، فيأخذه فيأكله! حتى ارتفع الضحى وارتفع النهار.

**ثم أقبل على قَيِّم البستان، فقال**: ويحكَ يا فلانُ إني قد استجعتُ فهل عندك شــيءٌ تُطعِمُنيه؟ قال: نعم يــا أمير المؤمنين عَنَــاقٌ حَوْليةٌ حمراءُ، قــال: آتني بها، ولا تأتني معها بخبزٍ. فجاء بها على خِوانٍ لا قوائمَ له وقد مــلأتِ الخِــوانَ، فأقبل يأخذ العضــوَ فيجيء معه فيَخْرُطُــه في فِيه ويلقي العظمَ حتى أتى عليها! ثم عاد لأكل الفاكهة، فأكل فأكثر!

**ثــم قــال للقَيِّم**: ويحكَ ما عنــدكَ شــيء تُطْعِمُنيه؟ قال: بلــى يا أمير المؤمنين دجاجتان بحريتان قد عَميتا شَــحْمًا، قال: ائتني بهما، فأُتِيَ بهما ففعل بهما كما فعل بالعَنَاق! ثم عاد لأكل الفاكهة، فأكل مليًّا.

**ثــم قال للقَيِّم**: هل عندك شــيء تُطْعِمُنيه فإني قد جُعْتُ؟ قال: عندي سَــويقٌ كأنه قَطَعُ الأوتار وسمنٌ وسُــكَّرٌ. قال: أفلا أعلمتني قبل هذا به، ائتنــي به وأَكْثِــرْ، فأتاه بقَعْبٍ يقعد فيه الرجلُ وقد ملأه من الســويق، وقد



خلطه بالسُّكَّر، وصبَّ عليه السمن، وأتى بجرَّةٍ من ماءٍ باردٍ وكُوزٍ، فأخذ القَعْبَ على كفِّه وأقبل القَيِّمُ يصبُّ عليه الماء فيحركه ويأكله - أو قال - ويشربه حتى كفأه على وجهه فارغًا! ثم عاد للفاكهة، فأكل مليًّا حتى عَلَتِ الشمسُ!

ودخلَ وأمرَنا أن ندخلَ إلى مجلسه، فدخلْنا وجلسْنا، فما مكث أن خرجَ علينا، فلما جلس قام كبيرُ الطبّاخين حِياله يُؤذنُه بالغداء، فأومأ إليه أن ائتِ بالغداء، فأتاه به فوضعَ يده فأكل، فما فقدْنا من أكله شيئًا![1].

وحُكي عنه أنه كان يَتَّخذُ سِلالَ الحَلوى، ويجعلُ ذلك حولَ مَرقده، فكان إذا قام من نومه يمدُّ يدَه فلا تقع إلا على سَلَّةٍ يأكل منها![2].

وقال الشّمردلُ وكيلُ آل عمرو بن العاص: قدم سليمانُ بنُ عبدالملك الطائفَ وقد عرفتُ شراهتَه، فدخل هو وعمرُ بنُ عبد العزيز وأيوبُ ابنُه بستانًا لعمرٍو؛ قال: فجال في البستان ساعةً ثم قال: ناهيكَ بمالكم هذا مالًا لولا حِرارٌ فيه! فقلتُ: يا أمير المؤمنين، إنها ليست بحِرارٍ ولكنها جُرُبُ الزّبيب!

فجاء حتى ألقى صدرَه على غصنٍ، ثم قال: ويلكَ يا شمردل! أمَا عندك شيءٌ تُطعمني؟ قلتُ: بلى والله! إن عندي لجَدْيًا تغدو عليه بقرةٌ وتروح أخرى؛ قال: اعجلْ به؛ فأتيته به كأنه عُكَّةٌ، وتشمّر فأكل ولم يَدْعُ ابنَه ولا عمرَ! حتى أبقى فَخِذًا. فقال: يا أبا حفص هلمّ؛ قال: إنّي صائم.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٧/ ١٦).
(٢) مروج الذهب (٣/ ١٨٥).

**ثـم قـال**: ويلـكَ يا شـمردل! أمَا عنـدك شـيءٌ؟ فقلت: بلـى والله! دجاجاتٌ سِتٌّ كأنهنّ رئلانُ النَّعام، فأتيته بهنّ، فكان يأخذ رِجْلَ الدجاجة حتى يُعرِّي عظمَها ثم يلقيها بفِيه، حتى أتى عليهنّ!

**ثم قال**: ويلكَ! أما عندك شيءٌ؟ فقلت: بلى والله! إن عندي لحريرةٌ كقُراضة الذّهـب، فقال: اعجلْ بها؛ فأتيته بعُسٍّ يغيب فيه الرأسُ، فجعل يتلقّمها بيده ويشرب، فلما فرغ تجشَّأ كأنه صاح في جُبٍّ!

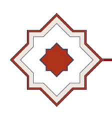
**ثـم قال**: يا غلام، أفرغـتَ من غدائنا؟ قال: نعم، قال: وما هو؟ قال: نيّفٌ وثمانون قِدْرًا؛ قال: فأْتني بها قِدْرًا قِدْرًا؛ فأتاه بها وبقناعٍ عليه رُقَاقٌ؛ فأكثرُ ما أكل من قِدْرٍ ثلاثَ لُقَمٍ وأقلُّ ما أكل لُقْمَةً! ثم مسح يدَه واستلقى على فِراشه، وأذِن للناس ووُضعت الخِواناتُ فجعل يأكل مع الناس!(١).

**وحَجَّ فقال لقَيِّمه على طعامه**: أطعمْني من خِرْفان المدينة بخبزِ ماءٍ. ودخـل الحمَّام فأطال المكثَ فيه، فخرج وقد شُـويَ لـه أربعةٌ وثمانون خروفًـا! فكان يتناول رغيفًا وشـحمَ كُلْيةٍ، فأكل أربعـةً وثمانين خروفًا، كلُّ خروفٍ قد أخذ نصفَ بطنه! ثم قال: ادعُ عمرَ بنَ عبد العزيز، فدعوتُه له، ثم أذِنَ للناس، ودعا بالغداء فأكل معهم كما أكلوا كأنه لم يَطعَمْ شيئًا قبل ذلك!(٢).

---

(١) عيـون الأخبـار (٣/ ٢٢٧)، ومـورد اللطافة فيمن ولي السـلطنة والخلافـة (١/ ٨٦)، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (١/ ٢٤١).

(٢) **انظـر**: نثر الـدرّ في المحاضـرات (٢/ ١٨١)، ومـرآة الزمان في تواريـخ الأعيان (١٠/ ١٩٧).



وحُكي عن رجلٍ قال: دخلتُ مطبخَ سليمان، فوجدتُ فيه اثنين وثمانين فخَّارةً فيها نواهض[1]، قالوا: يأكلها أميرُ المؤمنين كلَّها![2].

وقيل: إنه كان إذا رأى الأَكَلَةَ يتمثّل من الرجز:

لا لَقْمَ إلَّا دُونَ لَقْمِ سَالِمِ　　　يَلْقَمُ لَقْمًا فَوقَ لَقْمِ اللَّاقِمِ![3]

يعني نفسَه!

ولعله قاله لما قال حنظلةُ بنُ عِقال بن صعصعة:

أعددتُ للفَمِّ عَظيمَ الفِلَقِ　　　تكادُ أطرافُ الرغيفِ تلتقي!

- أو غيرُه من الأكَلَة - وقد تقدَّم البيتُ في ترجمة حنظلة.

وقال الدّيرانيُّ: لما استُخلف سليمانُ قال لي: تقطعُ عنّي ألطافَكَ التي كنتَ تُلْطِفُني بها قبل أنْ أُستخلفَ؟! فأتيتُه بزِنْبيلَيْن: أحدهما: بَيضٌ، والآخَرُ: تينٌ؛ فقال: لَقِّمْنيه، فجعلتُ أُقشِّرُ البيضةَ وأَقرنُها بالتِّينة حتى أكل الزِّنْبيلَيْن![4].

وقد تقدَّم في المبحث السادس أنها كانت سببَ موتِه!

**لكنه رحمه الله مع هذا** كان حَسَنَ السيرة، مترفِّعًا عن سَفْك الدماء،

(١) **الناهض**: هو الفَرْخ الَّذِي قد وَفَر جَناحَاه ونَهَضَ للطَّيران. المخصص (٢/ ٣٢٣).
(٢) نثر الدر في المحاضرات (٢/ ١٨١).
(٣) الوافي بالوفيات (١٥/ ٢٤٥).
(٤) عيون الأخبار (٣/ ٢٢٧).

مِفتاحًا للخير، أذهب الله به عن الناس ظُلمَ الحَجَّاج وسَفْكَه للدماء، وأطلق المُحَبَّسين من حبس الحَجَّاج، وأباد آلَ الحَجَّاج، وردَّ المُسَيَّرين، وأنصف المظلومين، وبنى مدينةَ الرَّمْلَة، وأحسن إلى الرَّعِيَّة، وختم أفعالَه باستخلافه عمرَ بنَ عبد العزيز على الأمَّة، ولم يكن ممَّن تقدَّم من أهله أعلى هِمَّةً منه مع قِصَر أيامه، كانت أوائلُ خيله في الصين مع يزيد بن المهلب، وآخرُ خيله في طُلَيطلة! وكان يَنهى عن الغناء، وكان شديدَ الغَيْرة حتى إنه خَصَى المخنَّثين بالمدينة![1].

❁❁❁

* **شُعْبة بن الـمُخَشِّن الضَّبِّي:**

كان نديمًا لزياد بن أبيه.

عن عبد الله بن فائد، قال: كان شُعْبةُ بن المخَشِّن أكُولًا جزوعًا، فقال يومًا لزياد، وزيادٌ متشاغلٌ بقومٍ من الدهَاقين[2] ينظر في أمورهم، وجاوز وقتُ الغداء، فقال شُعْبة: أصلَح الله الأمير، الغداء! فقال رجلٌ من الدهاقين بالفارسية: بأي ذنوب آبائنا ابتُلينا بهؤلاء الكلاب؟ فسمعها زياد، فقال: بكفرك وجرأتك على الله عَزَّوَجَلَّ، ودعا بالغداء. وقال لشعبة:

---

(١) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (١٠/ ١٩٧)، ومورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة (١/ ٨٦)، وتاريخ الخلفاء (ص: ٢٢٦).

(٢) **الدِّهْقانُ والدُّهْقانُ**: فَارسي مُعرَّب، وهم زعماء فلاّحي الْعَجم ورؤساء الأقاليم. سُمُّوا بذلك لترفهم وسعة عيشهم من الدهقنة وَهِي تليين الطَّعَام. **انظر**: المحكم والمحيط الأعظم (٤/ ١٢١)، ومشارق الأنوار على صحاح الآثار (١/ ٢٦٢).



يـا شُـعْبة لا تَعُدْ. قال: فجعل شُـعْبة يَطعمُ اللقمةَ ويَقـذفُ قذفًا! فقال له زيـاد: مالَكَ من الولد؟ قال: تسـعُ بنـاتٍ، قال: فأين أكلُهـنَّ من أكلِكَ؟ قال: هنَّ آكَلُ مني وأنا أجملُ منهنَّ! وكان دميمًا، فقال زياد: ما أحسنَ ما سألتَ! ففرض لهنَّ، فقال ابنُ مخشِّن:

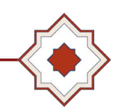
إذا كنتَ مُرتادَ السّماحة والنّدى ... فـنـادِ زِيـــادًا أو أخًـــا لـزيـادِ
يُجبْك امرؤٌ يُعطي على الحمدِ مالَهُ ... إذا ضَـنَّ بالمعـروفِ كلُّ جَـوادِ
ومـا لـيَ لا أُثنـي عليـهِ وإنّمـا ... طَـرِيـفـيَ منهم كـلُّه وتِـلادِي
همـا أصْلحَـا أَمـرَ البريّـةِ بعدَما ... تَفَانَوْا وكادُوا يُصبحونَ كَعادِ(١)

***

* صالح بن عبد الرحمن الجَنَاحي:

قال الشـيخُ الرحَّالَـةُ محمدُ بنُ ناصـر العُبودي عن أُسـرة الجَنَاحي ببُرَيْدَة: أُسـرةٌ صغيرةٌ جاءت إلى بريدة من الجَنَاح في عُنيزة فنُسـبتْ إليه. كان ممّـن عاصرناه وعرفناه منهم صاحبُ دكّانٍ في أسـفل سـوق بُريدة، وهـو صالح بـن عبد الرحمـن الجَنَاحـي، وكان من الأَكَلَـة المعدودين الذين يأكلون ما يَعجز العُصْبَةُ من الرجال عن أكله! وكان دَلّالًا للقِماش في بُريدة.

(١) المؤتلـف والمختلف: للدارقطنـي (٣/ ١٣٨١)، والأوائل: للعسـكري (ص: ٣٠٢)، وتاريخ دمشق (١٩/ ١٨٩).



ولصالـح الجَنَاحـي في أكل الطعـام الجيّد أقوالٌ، منها قولُـه: «البَرْدُ من الجوع، إذا شـبع الإنسـان ما يَبْرَد». ويقول: «اِشبعْ من الطعام، وارْقَ للسطْح، وكُوْكِي به، ولا يضرُّك البَرْد».

ومعنى (يُكُوكِي): ينقلب على وجهه كهيئة الساجد![1].

❊❊❊

### ❊ الخليفة الموفَّق بالله، طلحة بن جعفر ابن المعتصم، العباسي (ت ٢٧٨ هـ):

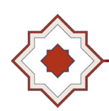
كان جسيمًا وسيمًا أكُولًا.

وكان هنـاك من يكره حياتَه. فـأكل يومًا ألبانًا كثيـرةً في ألوانٍ كثيرةٍ. قـال طبيبُه: وأنا واقـفٌ وهو يأكل ولا أنهاه، وأقول في نفسـي: هذا يُفلَج اليـومَ، لأنه زَمِنٌ ويأكل هذا! لا محالـةَ فإن لم يفلجْ، فالطب باطلٌ. فلما أكل وفرغ دخل الخيشَ ونام فيه، وصرتُ إلى منزلي، فلما كان بعد قليل سـمعتُ قعقعةَ بغلِ البريد، فقيل لي: أجبْ الأميرَ، فقلتُ في نفسي: فُلِجَ لا محالةَ، فركبتُ وحثّيتُه؛ فإذا هو في حُـمَّى عظيمةٍ مُطبِقةٍ دمويةٍ، فاحتاج أن يُفصَدَ من يديه ويُخرَجَ من الدم أربعمائة درهم! فكان ذلك بالضدِّ من صناعة الطب وقوانينه![2].

❊❊❊

(١) معجم أُسَر بُريدة (٣/ ٥٠٨ – ٥٠٩).

(٢) تثبيت دلائل النبوة (٢/ ٦٢٩).



### ❊ عبـد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مـروان بن الحكم الأموي (ت ١٣٢ هـ):

روى عن: أبيه، وعبد الله بن عياض. وروى عنه: شعبة، والمسعودي.

وَلِيَ إمرةَ العِراقَيْن ليزيدَ الناقص الخليفة الأموي.

ولما قدم يزيدُ بنُ عمر بن هبيرة واليًا على العراق، أمسك عبدَ الله هذا فقيَّده، وبعث به إلى مروان بن محمد (الحمار)، فسجنه في سجنٍ بحَرّان، ثم قتله غِيلةً! وقيل: بل مات في السجن من وباءٍ وقع بحَرّان.

وكان يذهب للمقابر ومعه كتابٌ لا يُفارقه، فقيل له في ذلك، فقال: ما شيءٌ أوعظَ من قبرٍ، ولا آنسَ من كتابٍ، ولا أسلمَ من الوَحْدة!

قال أبو الحسن المدائنيّ: «كان عبدُ الله بنُ عمر بن عبد العزيز أكُولًا، كان يأكلُ في اليوم تسعَ مراتٍ! وينتبهُ في السَّحَر فيدعو بالطعام، فيأكلُ أكلَ مَن لم يأكلْ طعامًا منذُ أيامٍ!!»[(١)].

❊❊❊

### ❊ عبيد الله بن زياد بن أبيه (ت ٦٧ هـ):

كان عبيدُ الله أكُولًا يأكل في اليوم خمسَ أكلاتٍ، آخرُها جُبنةٌ بعسل تُوضع بين يديه بعد فراغه من الطعام! وكان يأكل جَدْيًا أو عَناقًا يُتخيَّرُ له في كل يومٍ فيأتي عليه وحدَه![(٢)].

---

(١) انظر: تاريخ دمشق (٣١/ ٢٢٠)، وتاريخ الإسلام (٣/ ٤٤٤).

(٢) أنساب الأشراف (٥/ ٣٨٤)، وشرح نهج البلاغة (١٨/ ٣٩٨).

ومرَّ بالطَّفِّ[١] فقال له رجلٌ من بني أسد: أتتغدَّى أصلح اللهُ الأمير؟ فأكل عنده عشرَ بطَّاتٍ وزبيلًا من عنبٍ! ثم عاد وأكل عشرَ بطَّاتٍ أُخَر، وزبيلًا من عنبٍ وجَدْيًا!![٢].

**قال عنه الشعبيُّ:** «كان أكولًا؛ أكلَ في يومٍ خمسَ مراتٍ، وأكلَ عشرَ بطَّات، وجَدْيًا وزِنْبيلًا من عنبٍ، وأكلَ آخرَ النهار شيئًا آخر. ولهذا قال له عبدُ الله بن المغفَّل: **"شَرُّ الرِّعَاءِ الحُطَمَة!"**»[٣].

**وقال الحسنُ البصريُّ:** «قدم علينا عبيدُ الله بنُ زياد، فقدم شابًّا مِترافًا سفّاكًا للدماء، له في كل يوم خمسُ أكلاتٍ، فإن فاتته أكْلةٌ ظلَّ لها صريعًا وجِلًا، يتكئُ على شماله، ويأكل بيمينه، حتى إذا أخذته الكِظَّة (التُّخْمَة) قال: أبغوني حاطومًا (مُهَضّمًا)! ثكلتكَ أمكَ إنما تحطم دينَك!»[٤].

**وعن عَوانةَ قال:** كان ابنُ زياد يأكل بعد الشِّبَع أربعَ جرادقَ أصبهانية، وجُبنةً، ورِطلًا عسلًا![٥].

---

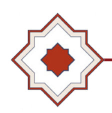
(١) **الطَّفّ**: بفتح أوّله، وتشديد ثانيه، بناحية العراق، من أرض الكوفة، على فرسخين من البصرة. وهناك الموضعُ المعروف بكربلاء الذي قتل فيه الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وكان به قصر أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه مات رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٩٣) وهو ابن مئة عام وثلاثة أعوام. **انظر**: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (٣/ ٨٩١).

(٢) أنساب الأشراف (٥/ ٣٨٤).

(٣) مرآة الزمان (٨/ ٤١٥). والصوابُ أنَّ الذي قال له ذلك هو عائذُ بنُ عمرو كما في مسلم (١٨٣٠).

(٤) نثر الدرّ (٢/ ١٨٠).

(٥) معجم الأدباء (٥/ ٢١٣٦).
وفي عيون الأخبار (٣/ ٢٢٨) أنها قبلَ غدائه.



**❋ الملك العزيز أبو الفتح عثمان ابن السـلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب (ت ٦٢٢ هـ):**

تسـلْطن بعـد موت أبيه صـلاح الدين الأيوبـي، وكان نائبًـا عن أبيه بمصر لما كان أبوه بدمشـق، وتمَّ أمرُه وسِـنُّه نيفٌ وعشـرون سنة! وكان أصغرَ إخوته، وكان أكبرُهم الملكُ الأفضلُ نور الدين علي، وكانت إليه ولايةُ العهد من أبيه صلاح الدين يوسف بن أيوب.

كان فاضلًا، متأدِّبًا، حليمًا، حسنَ السيرة، متدينًا، قلَّ أن يُعاقب على ذنبٍ.

أمَّا عن أكلِه، فقد كان أكُولًا، يأكلُ الخروفَ وحدَه![(١)].

❋❋❋

**❋ عمرو بن مَعْدي كَرِب بن ربيعة الزبيدي، الصحابي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت ٢١ هـ):**

فارسُ اليمن، بل فارسُ العرب جميعًا.

كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أكُولًا.

يُحكَى عنه أنه أكل عنزًا رَباعِيَةً وفَرَقًا من ذُرةٍ - والفَرَقُ ثلاثةُ آصُع - وقـال لامرأته: عالجي لنـا هذا الكبشَ حتى أرجع، فجعلـتْ تُوقِد تحتَه وتأخـذُ عُضوًا عُضـوًا فتأكله! فاطَّلعتْ فـإذا ليس في القِـدْر إلا الـمَرَق! فقامـت إلـى كبشٍ آخـرَ فذبحتْه وطبختْه، ثـم أقبل عمرو، فثَـرَدَتْ له في

(١) **انظر**: سمط النجوم العوالي (٤/ ١١).

جَفْنةِ العجينِ وكفأتِ القِدْر عليها، فمدَّ يده وقال: يا أمَّ ثورٍ دونكِ الغداءَ، قالت: قد أكلتُ، فأكل الكبشَ كلَّه! ثم اضطجع ودعاها إلى الفراش فلم يستطع الفعل، فقالت له: كيف تستطيع وبيني وبينك كبشان!![1].

❁❁❁

### ❁ عَنبسَة بن زياد[2]:

كان عَنبسَةُ هذا أكُولًا نَهِمًا إلى الغاية!

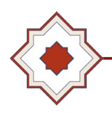
حدَّث رجلٌ من ثقيفٍ قال: دعاني عُبيد الله الأحمر، فقلت لعنبسة: هل لك يا زنجة - وكان يُلقَّب بذلك - في إتيان الأحمر؟ فمضينا إليه، فلما رآه عبيدُ الله رحَّب به وقال للخباز: ضع بين يديْ هذا مثل ما تضع بين يديْ أهل المائدة كلهم! فجعل يأتيه بقصعةٍ وأهل المائدة بقصعةٍ، وهو يأتي عليها! ثم أتاه بجَدْيٍ فأكله كله، ونهض القومُ، فأكل كلَّ ما تخلَّف على المائدة!

وخرجْنا فلقينا خلفَ بنَ عبد الله القطامي، فقال له: يا خلف، أما تُغدِّيني يومًا؟ فقلتُ لخلف: ويحك! لا تجدُه مثلَ اليوم. فقال له: ما تشتهي؟ قال: تمرًا وسمنًا، فانطلق به إلى منزله فجاء بخمسِ جِلالٍ[3]

(١) **انظر**: نثر الدر في المحاضرات (٢/ ١٨٠)، وشرح نهج البلاغة (١٨/ ٣٩٩).

(٢) لم تتبيّن لي بقيّةُ نَسَبه ونِسْبته مع طول البحث، والذي يظهرُ أنه أحدُ أبناء الأمير المشهور زياد بن أبيه المتقدِّم ذِكْرُه، فإنّ زيادًا قد خلَّف عددًا من الولد أحدُهم يُدعى عنبسة - كما في المعارف لابن قتيبة (ص: ٣٤٨) - فلعلّه هذا.
وممَّا يُقوّي هذا الحَدْسَ، أنَّ أباه زيادًا كان أكُولًا، وهذا مثلُه، ومَنْ يُشابِهْ أبَهُ فما ظلم!

(٣) **الجِلالُ**: ما تُغطَّى به الدابةُ ونحو ذلك.



تمرًا وجَرَّةً سمنًا، فأكل الجميعَ وخرج!

فمرَّ برجل يبنى داره ومعه مائةُ عامل، وقد قدَّم لهم سمنًا وتمرًا، فدعاه إلى الأكل معهم، فأكل حتى ضجر العَمَلَةُ وشَكَوْه إلى صاحب الدار!

ثم خرج فمرَّ برجل بين يديه زنبيلٌ فيه خُبزُ أَرْزٍ يابسٍ بسمسم وهو يبيعه، فجعل يساومه ويأكل حتى أتى على الزنبيل!! فأعطيتُ صاحبَ الزنبيل ثمنَ خُبزه(١).

❊❊❊

### ❊ فالح الصيهود بن مُنشد بن خليفه بن داغر (ت ١٩٤١ م):

شيخُ مشايخ عشيرة آل بُو محمد، من عشائر العراق. تسلَّم منصب (نائب) في البرلمان ثلاثَ مراتٍ في العهد الملكي.

وقد رأيتُ صورتَه فإذا هو رجلٌ طويلٌ ضخمُ الجُثَّة!

**قيل**: إنَّ وزنَه يبلغ (٢٥٠) كيلو غرام، وطولُه (٧) أقدام! حتى إنَّ بعضَ الصحفيّين الانكليز أطلق عليه لقبَ «هِرَقْل العراق»!

ولما بدأ عملَه نائبًا في البرلمان، اضطرّت الدولةُ أنْ تُصَنِّع له في بريطانيا سيارةً خاصةً بمحرِّكين؛ لتُناسِبَ حجمَه الـمُذْهل!

عُرف عنه في معاركه مع بقية العشائر أنه لا يَقتل الخيّالَ، بل يضرب الخيلَ برمحٍ عنده اسمه (چايل)، وعندما تسقط فهي كفيلةٌ بقتل خيَّالها!

---

(١) **انظر**: نثر الدر في المحاضرات (٢/ ١٨٢)، وشرح نهج البلاغة (١٨/ ٤٠١).

أمَّا إذا كانت المعركةُ نَهريةً، فإنه يركب مركبَه الذي يُسمى (مهيله) ويخوض بين المشاحيف والطرادات، ويقوم برمحه (چايل) بوضع رأس الرمح تحت المشاحيف ويقوم بقلبها وإغراقها وإغراقِ من فيها، فتتفرَّق جموعُهم!

يُقال: إنه كان يشرب «سَطْلًا» كاملًا من الحليب صباحَ كل يومٍ!

وأنه كان يأكل في كلّ وجبةٍ من وجبات الطعام خروفًا كاملًا بكل أحشائه وأجزائه! هذا عدا الـمُشهّيات من الدجاج والسمك، قبل وبعد الوجبة!

وأنه خلالَ سِنيِّ حياته قد تزوَّج تسعَ عشرةَ امرأةً! وعاش ما يُقارب المائةَ عامٍ![1].

❋❋❋

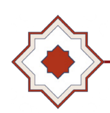
**❋ محمد بن أيوب بن شاذي الدويني، الملك العادل، سيف الدين (ت ٦١٥ هـ):**

وهو أخو صلاح الدين الأيوبي الملك المجاهد المشهور.

**قال عنه الذهبيُّ:** «كان سائسًا، صائبَ الرأي، سعيدًا، استولى على البلاد، وامتدّت أيامُه، وحكم على الحجاز، ومصر، والشام، واليمن، وكثيرٍ من الجزيرة، وديار بكر، وأرمينية. وكان خليقًا للمُلْك، حسنَ

---

(١) استقيتُ ترجمته من: مجلة الكاردينيا الثقافية الإلكترونية، ومنتديات عشائر البُو محمد العربية.



الشكل، مهيبًا، حليمًا، ديِّنًا، فيه عِفةٌ وصفحٌ وإيثارٌ في الجملة. أزال الخمورَ والفاحشةَ في بعض أيام دولته، وتصدَّق بذهبٍ كثيرٍ في قحط مصر»[(١)].

**أمَّا عن أكلِه، فقد قال الموفَّقُ عبدُ اللطيف** في «سيرة العادل»: «كان أكُولًا نَهِمًا، يحب الطعامَ واختلافَ ألوانه. وكان أكثرُ أكله في الليل، كالخيل! وله عندما ينام آخرَ الأكل رَضيعٌ (خروفٌ صغيرٌ)، ويأكل من الحلواء السُّكَّرية رِطْلًا بالدمشقيّ![(٢)] يجعل هذا كالجُوَارِشْن[(٣)]... وكان كريمًا على الطعام يُحبُّ من يُؤاكله.

وكان قليلَ الأمراض، قال لي طبيبُه بمصر: إني آكلُ خبزَ هذا السلطان سنينَ كثيرةً[(٤)]، ولم يحتجْ إليّ سوى يومٍ واحدٍ؛ أُحضِرَ إليه من البطيخ أربعونَ حِمْلًا، فكسر الجميعَ بيده، وبالغ في الأكل منه ومن الفواكه والأطعمة! فعرض له تُخمةٌ، فأصبح، فأشرتُ عليه بشرب الماء الحارّ،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٢/ ١١٧).

(٢) الرِّطْل العراقيّ: هو المراد بكلام الفقهاء عند كلامهم على الأوزان، ويساوي عندهم (١٢٨) درهمًا، وهو بالوزن المعاصر = (٥، ٤٠٧) غرامًا.
والرِّطْل الدمشقيّ: أكبر من الرطل العراقي، إذ هو (٦٠٠) درهم، أي أنه أكثر من أربعة أضعاف الرطل العراقيّ.
**انظر**: مطالب أولي النهى (١/ ٤٦)، ومعجم لغة الفقهاء (ص:٢٢٣)، والموسوعة الفقهية الكويتية (٣٩/ ١٣٢)، ومجلة البحوث الإسلامية، عدد (٥٩) (ص:١٧٢).
فيكون مقدارُ ما يلتهمه هذا الرجل من الحلواء في المرة الواحدة حوالي (٢) كغ!!

(٣) تقدم التعريفُ به.

(٤) يعني أنه موظَّفٌ عنده من قديم.

وأن يَركب طويلًا، ففعل، وآخرُ النهار تعشَّى، وعاد إلى صحته! ... وكان يحبُّ أن يطبخَ لنفسه، مع أن في كلِّ دارٍ من دُور حظاياه مطبخًا دائرًا![1] .

❋❋❋

**❋ معين الدّين، أبو عبد الله، محمّد بن عبد الله بن الحسـن البغداديّ (ت ٦٥٦ هـ) :**

كان حافظًا للقرآن الكريم، وسمع الحديثَ، وكان يُوصف بكثرة الأكل، حتى إنه أكلَ مرةً حَمَلًا سمينًا مَشويًّا مع عِشرينَ قُرْصًا!! وفي ذلك يقول المفيدُ ابنُ المقامر بلسان أهل بغداد:

ما رأيتُ في زَماني ... مَنْ أكَلْ شِبْهَ المُعِينْ
قَدْ أكَلْ عِشْرينَ قُرْصَةْ ... بِحَمَلْ مَشْوِيْ سَمِينْ!![2]

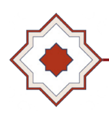
❋❋❋

**❋ محمد بن عثمان بن إبراهيم بن زرعةَ الثقفي مولاهم، أبو زُرعةَ الدمشقي (ت ٣٠٢ هـ):**

وليَ قضاءَ دمشق، وهو الذي أدخل مذهبَ الشافعي إليها، وحكم به القضاةُ. وكان الغالبَ عليها قبلَ ذلك قولُ الأوزاعيّ. وقد شرط لمن يحفظ «مختصرَ المزني» مائةَ دينار يهبها له!

---

(١) تاريخ الإسلام (١٣/ ٤٥٦)، وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ١١٧).
(٢) **انظر**: مجمع الآداب في معجم الألقاب (٦/ ٤٠٤).



كان أبو زُرعةَ من الأكَلَة، يأكل سَـلَّةَ مِشْـمشٍ، وسَـلَّةَ تينٍ، وما أشبهَ ذلك[1].

❃❃❃

❃ **محمد بن موسى بن عيسى، أبو البقاء، كمال الدين الدَّميريّ، الشافعيّ (ت ٨٠٨ هـ).**

صاحبُ كتاب «حياة الحيوان الكبرى»[2].

كان في شبيبته أكُولًا إلى الغاية، مُفرَطَ النَّهَم، له في ذلك أخبارٌ عجيبةٌ.

منها ما أخبر به الفقيهُ العالمُ صلاحُ الدين محمدُ ابن الأعمى الحنبليّ رحمه الله، قال: كنتُ أنا والكمال الدَّميريّ متجاورَيْن بمدرسة الجماليّ من القاهرة. فجلسنا يومًا لنأكل برقوقًا. فقلتُ له: لا ترْمِ نواه من ههنا، لئلّا يقف علينا الذباب، ولكن ألقه هناك.

فقال لي: ما رميتُ نوى برقوقٍ ولا خوخٍ، ولا مشمشٍ، ولكن آكل ذلك كلّه بنواه!!

فتعجّبتُ من ذلك، ومرّ لي زمنٌ، فحدّثتُ بذلك صاحبَنا أبا الطيّب ابن القويّ المدنيّ رحمه الله، فقال لي: أُحدّثك عنه بأعجبَ من هذا، وهو أنّه جاور بالمدينة النبويّة، فأكل بحُضوري صاعَ تمرٍ بنواه!

(١) انظر: طبقات الشافعية: لابن قاضي شهبة (١/ ١٠٢)، والعقد المذهب في طبقات حملة المذهب (ص: ٣٩)، وتاريخ الإسلام (٧/ ٥٧)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٣٣)، والمقفى الكبير (٦/ ١٠٦).

(٢) مطبوعٌ في مجلدين كبيرين، وهو من أنفس ما كُتب عن الحيوان.



ثـمّ إنّـه رحمه الله في آخر عمـره لم يكن عنده من ذلك شـيءٌ، وكان يأكل أكلًا معتدلًا. ثمّ أقام سنينَ يصوم الدهرَ![1].

❋❋❋

### ❋ مُزَرِّد بن ضِرار بن حرملة المازني الذُّبياني الغَطَفاني (ت نحو ١٠ هـ):

**قـال الأصمعـيُّ**: كنـتُ يومًـا عنـد هـارون الرشـيد، فقُدِّمـت إليـه فالوذجةٌ[2]، فقال: يا أصمعيّ! قلتُ: لبيكَ يا أميرَ المؤمنين. قال: حدِّثني بحديث مُزَرِّد أخي الشمّاخ[3]. قلتُ: نعم يا أميرَ المؤمنين، إنّ مُزَرِّدًا كان غلامًا نَهِمًا جَشِـعًا، وكانت أمُّه تُؤْثِر عيالَها بالزاد عليه؛ وكان ذلك يَغيظُه ويَغمُّـه؛ فذهبتْ يومًا في بعض حقوق أهلها، وخلَّفـتْ مُزَرِّدًا في رَحلها،

---

(١) المقفى الكبير (٧/ ١٢١).

(٢) تقدم التعريف بالفالوذج.

(٣) **فائـدة**: كان أخوه الشـمّاخُ - واسـمُه معقـل بن ضـرار الغطفاني، وهو مخضـرمٌ: أدرك الجاهلية والإسـلام. وله صُحبةٌ - شـاعرًا فحلًا، وكان أوصفَ الناس للقوس والحمار الوحشـيّ وأرجزَ الناس على البديهة. حتى إن الوليد بن عبد الملك أُنشـد شيئًا من شعر الشمّاخ في صفة الحمير فقال: ما أوصفه لها، إني لأحسب أن أحدَ أبويْه كان حمارًا!! قال محمود شاكر معلِّلًا: وذلك لأنه كان يتدسَّسُ في ضمائر الحُمُر فيُنطِقها بما تكتُم!

وقد جعله محمد بن سـلّام الجمحي في الطبقة الثالثة من الشـعراء، وقرنه بالنابغة ولبيد وأبي ذؤيب الهذلي، ووصفه فقال: «كان شـديدَ متون الشـعر، أشدُّ كلامًا من لبيد، وفيه كزازةٌ، ولبيدُ أسهلُ منه منطقًا».

وقال الحطيئةُ في وصيته: أبلغوا الشماخَ أنه أشعرُ غطفان!

**انظـر**: طبقات فحول الشـعراء (١/ ١٢٣)، والأغـاني (٩/ ١٨٧)، وخزانة الأدب (٣/ ١٩٦)، وتاريخ آداب العرب (٣/ ٨٣)، والقوس العذراء (ص: ٩).



فدخـل الخيمةَ، فأخذ صاعين من دقيـقٍ، وصاعًا من عجوةٍ، وصاعًا من سمنٍ؛ فضرب بعضَه ببعضٍ وأكلَه! ثم أنشأ يقول:

ولما مَضَتْ أمّي تـزورُ عيالَها ... أغرْتُ على العِكْمِ الذي كان يُمنَعُ
خلَطتُ بصاعَيْ حِنطةٍ صاعَ عَجْوةٍ ... إلـى صـاعِ سمنٍ فوقَه يَتَريَّعُ
ودَبَّلْـتُ أمثـالَ الأثـافيْ كأنها ... رءوسُ نِقادٍ قُطِّعَت يومَ تُجمَعُ
وقلـتُ لبطنـي: أبشـرِ اليـومَ إنهُ ... حِمـى أمِّنـا ممـا تُفيـدُ وتَجمـعُ
فـإن كنـتَ مَصْفُورًا فهـذا دواؤُه ... وإن كنتَ غَرْثانًا فذا يومُ تَشْبعُ!

قـال: فاسـتضحك هارونُ حتى أمسـك علـى بطنه واسـتلقى على ظهره، ثم قعد فمدّ يدَه وقال: خذْ، فذا يومُ تشبعُ يا أصمعيّ!(١).

❋❋❋

## ❋ الأمير مصطفى بك دالي باشا (ت ١٢٣١ هـ):

كان موصوفًـا بالإقدام والشـجاعة، وكان جَسـيمًا بطينًا يأكل التيسَ المخصيَّ وحدَه! ويشـرب عليه الزِّقَّ من الشـراب! ثم يُتبعُه بشَاليةٍ(٢) أو اثنتين من اللَّبن! ويستلقي نائمًا مثل العِجْل العظيم ذي الخُوار!!(٣).

---

(١) الجليس الصالح الكافي (ص: ٣١٥)، والعقد الفريد (٦/ ٣٠١).
وانظر شرح معنى الأبيات في المصدر الأول.
(٢) الشالية - وجمعها شوالي -: إناء اللبن. تكملة المعاجم العربية (٦/ ٣٥٠).
(٣) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار (٣/ ٥٣٦).

### * معاوية بن صخر بن حرب القرشيّ الأمويّ (ت ٦٠ هـ):

الصحابيُّ الجليلُ، أولُ مُلوك الإسلام(١)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن أبيه وأمّه.

**قال عنه الذهبيُّ:** «كان معاويةُ مَعْدودًا من الأكَلَة»(٢).

**وقال العُمَري:** «كان معاويةُ أكُولًا نَهِمًا، وهو أولُ من نوّع في هذه الأمة المطاعمَ»(٣).

رآه رجلٌ مرةً وهو يأكل، فقال لعمرو بن العاص: إنّ ابنَ عمِّك هذا لَـمِخْضَدٌ!(٤).

---

(١) هذا هو الصوابُ أنْ يُقال له مَلِكٌ لا خليفة.
**قال الحافظُ ابنُ كثير:** «السُّنّةُ أن يقال لمعاوية: مَلِكٌ. ولا يقال له: خليفةٌ. لحديث سفينة، أن رسول الله ﷺ قال: «**الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَضُوضًا**». البداية والنهاية (١١/ ٤٣٩).
**وقال عنه الحافظُ الذهبيُّ** في ترجمته من سير أعلام النبلاء (٣/ ١٢٠): «أميرُ المؤمنين، مَلِكُ الإسلام».
**وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية:** «اتفق العلماءُ على أن معاويةَ أفضلُ ملوك هذه الأمة، فإن الأربعةَ قبلَه كانوا خلفاءَ نبوةٍ وهو أولُ الملوك؛ كان ملكُه ملكًا ورحمةً كما جاء في الحديث: «**يكون الملكُ نبوةً ورحمةً، ثم تكون خلافةٌ ورحمةٌ، ثم يكون ملكٌ ورحمةٌ، ثم ملكٌ وجبريةٌ، ثم ملكٌ عَضُوضٌ**» وكان في مُلكه من الرحمة والحلم ونفع المسلمين ما يُعلم أنه كان خيرًا من مُلك غيره». مجموع الفتاوى (٤/ ٤٧٨).
**وما وصفتُ مَنْ وصفتُ بالخلافة في كتابي هذا إلا من أجل التمييز فحسْب. فلْيُعلَمْ.**

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٢٣).

(٣) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (٢٤/ ٣٥٦).

(٤) البداية والنهاية (١١/ ٤٠٦). =



حتى صار يُضربُ به المثلُ، فيُقالُ: آكَلُ مِنْ مُعَاوِيَةَ!

وقال أبو محمد القزويني الضرير في رجلٍ أكولٍ:

وصَاحِبٍ لي بَطْنُهُ كالْهَاوِيَهْ    كأَنَّ في أَمْعَائِهِ مُعَاوِيَهْ!

قال الثعالبي: «انْظُرْ إلى وَجازة هذا اللَّفْظ، وجَودة وُقُوع الأمعاء إلى جنب معاوية!».

وقال آخَرُ:

وَمِعْدَةٍ هاضِمَةٍ لِلصَّخْرِ    كأنَّما في جَوْفِها ابْنُ صَخْرِ![1]

وحتى إنه في آخر أيامه كان يخطُب يومَ الجمعة جالسًا؛ حين كَثُر شحمُه وعَظُم بطنُه.

قال الشعبيُّ: أولُ من خطب جالسًا معاويةُ حين كَثُر شحمُه وعَظُم بطنُه. وكذا روى مغيرةُ، عن إبراهيم أنه قال: أولُ من خطب جالسًا يومَ الجمعة معاويةُ. وقال أبو المليح، عن ميمون: أولُ من جلس على المنبر معاويةُ، واستأذن الناسَ في الجلوس[2].

---

= وأما معنى مِخْضَد، فقد قال ابنُ الأثير: «الْخَضْدُ: شِدَّةُ الْأَكْلِ وسُرْعته. ومِخْضَدٌ: مِفْعَلٌ مِنْهُ، كَأَنَّهُ آلَةٌ لِلْأَكْلِ.

ومِنْهُ حَدِيثُ مَسْلَمَةَ بْنِ مُخَلَّدٍ أَنَّهُ قَالَ لعَمْرو بْنِ الْعَاصِ: إِنَّ ابْنَ عَمِّكَ هَذَا لَمِخْضَدٌ. أَيْ: يَأْكُلُ بجفَاءٍ وسُرْعةٍ». النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٠).

(١) انظر: مجمع الأمثال (١/ ٨٧)، ويتيمة الدهر (٣/ ٤٦٥)، والتدوين في أخبار قزوين (٢/ ٨٥).

(٢) البداية والنهاية (١١/ ٤٤٨).

**وممـا جاء في أكل معاويـة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ما رواه ابـنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كنـتُ ألعب مع الغِلْمان، فإذا رسـولُ الله ﷺ قـد جاء فقلتُ: ما جاء إلّا إلـيّ. فاختبأتُ على بابٍ، فجاءني فحَطَأَني حَطْأَةً[١] ثم قال: «**اذْهَبْ فَادْعُ لـي مُعاوِيَـةَ**». وكان يكتبُ الوحيَ. قـال: فذهبتُ فدعوتُه لـه، فقيل: إنه يأكل. فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلتُ: إنه يأكل. فقال: «**اذْهَبْ فَادْعُهْ**». فأتيتُه الثانيةَ فقيل: إنه يأكل. فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فأخبرتُه، فقال في الثالثة: «**لا أَشْبَعَ اللهُ بَطْنَه**». قال: فما شبع بطنُه أبدًا!»[٢].

**وقـد اتَّفـقَ مُـحَقِّقو العلماءِ** على عدِّ هذا الحديـث في مناقب معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا في مثالبه.

**قـال الحافظُ ابنُ عسـاكر:** «أصحُّ مـا رُوي في فضـل معاوية حديثُ أبـي حمـزة عن ابـن عباس أنـه كاتِبُ النبـي ﷺ، فقد أخرجه مسـلم في صحيحـه[٣]، وبعده حديـثُ العِرْباض: «**اللهـمَّ عَلِّمْه الكتـابَ**»، وبعده حديثُ ابن أبي عميرة: «**اللهمَّ اجعلْه هاديًا مهديًّا**»»[٤].

**وقال الإمامُ النوويُّ:** «وأما دعاؤُه على معاوية أن لّا يشبعَ حين تأخّر،

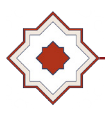
---

(١) **يقـال:** حَطَأَهُ يَحْطَؤُه حَطْـأً: إذَا دَفَعه بِكَفِّه. وَقِيلَ: لاَ يَكُونُ الحَـطْءُ إلاَّ ضَرْبةً بالكفّ بَيْنَ الكَتِفَين. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٤٠٤).

(٢) أخرجـه مسـلم في الصحيـح (٤/ ٢٠١٠ ح ٢٦٠٤)، وأحمـد في المسـند (٤/ ٣٩٧ ح ٢٦٥١)، والطيالسـي في المسـند (ح ٢٨٦٩)، والبيهقـي في دلائل النبـوة (٦/ ٢٤٢ ح ٢٥٠٤)، يزيد بعضُهم على بعضٍ في اللفظ.

(٣) وهو حديثُنا هذا.

(٤) تاريخ دمشق (٥٩/ ١٠٦).



ففيه الجوابان السابقان:

**أحدُهما**: أنه جرى على اللسان بلا قصدٍ.

**والثاني**: أنه عقوبةٌ له لتأخُّره.

وقد فهم مسلمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ من هذا الحديث أن معاويةَ لم يكن مُستحقًّا للدعاء عليه، فلهذا أدخله في هذا الباب[1]، وجعله غيرُه من مناقب معاوية؛ لأنه في الحقيقة يصير دعاءً له»[2].

**وقال الحافظُ الذهبيُّ**: «لعلَّ أن يقالَ هذه منقبةٌ لمعاوية؛ لقوله ﷺ:

---

(١) يعني: بَاب مَنْ لَعَنَهُ النَّبِيُّ ﷺ، أَوْ سَبَّهُ، أَوْ دَعَا عَلَيْهِ، وَلَيْسَ هُوَ أَهْلاً لِذَلِكَ، كَانَ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا وَرَحْمَةً.

(٢) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٦/ ١٥٦).

**وقال النوويُّ قبل ذلك**: «فإن قيل: كيف يدعو على من ليس هو بأهلٍ للدعاء عليه، أو يسبُّه، أو يلعنُه، ونحو ذلك؟

فالجوابُ ما أجاب به العلماءُ ومختصرُه وجهان:

**أحدُهما**: أن المرادَ ليس بأهلٍ لذلك عند الله تعالى وفي باطن الأمر، ولكنه في الظاهر مستوجبٌ له، فيَظهر له ﷺ استحقاقُه لذلك بأمارةٍ شرعيةٍ، ويكون في باطن الأمر ليس أهلًا لذلك، وهو ﷺ مأمورٌ بالحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر.

**والثاني**: أن ما وقع من سبِّه ودعائه ونحوه ليس بمقصودٍ، بل هو مما جرت به عادةُ العرب في وصل كلامها بلا نيةٍ، كقوله: «تربت يمينُك» و«عَقْرى حَلْقى» وفي هذا الحديث «لا كبرتْ سِنُّك» وفي حديث معاوية «لا أشبع اللهُ بطنَه» ونحو ذلك، لا يقصدون بشيءٍ من ذلك حقيقةَ الدعاء. فخاف ﷺ أن يصادفَ شيءٌ من ذلك إجابةً فسأل ربَّه سبحانه وتعالى ورغب إليه في أن يجعل ذلك رحمةً وكفارةً وقُربةً وطهورًا وأجرًا.

وإنما كان يقع هذا منه في النادر والشاذِّ من الأزمان، ولم يكن ﷺ فاحشًا ولا مُتفحِّشًا ولا لعَّانًا ولا مُنتقِمًا لنفسه» المنهاج في شرح صحيح مسلم (١٦/ ١٥٢).

«اللهمَّ مَنْ لعنتُه أو سَبَبْتُه فاجْعلْ ذلك له زكاةً ورحمةً»[(١)].

**وقال أيضًا:** «فسَّره بعضُ المحبِّين[(٢)]، قال: لا أشبع اللهُ بطنَه؛ حتى لا يكون مِمّن يجوع يومَ القيامة؛ لأن الخبرَ عنه أنه قال: «**أطولُ الناس شِبَعًا في الدنيا، أطولُهم جُوعًا يومَ القيامة**». قلتُ: هذا ما صحَّ، والتأويلُ ركيكٌ، وأشبهُ منه قولُه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «اللهمَّ مَنْ سَبَبْتُه أو شَتَمْتُه من الأمّة، فاجعلْها له رَحْمةً"، أو كما قال»[(٣)].

كما وجَّه الحافظُ ابنُ كثيرٍ هذا الحديثَ توجيهًا لطيفًا بديعًا، **فقال:** «وقد انتفع معاويةُ بهذه الدعوة في دنياه وأُخراه.

**أمَّا في الدنيا**، فإنه لما صار في الشام أميرًا، كان يأكل في اليوم سبعَ مراتٍ! يُجاء بقصعةٍ فيها لحمٌ كثيرٌ وبصلٌ فيأكل منها، ويأكل في اليوم سبعَ أكلاتٍ بلحمٍ، ومن الحلوى والفاكهة شيئًا كثيرًا، ويقول: والله ما أشبع، وإنما أعْيَا! وهذه نِعمةٌ ومَعِدَةٌ يَرغبُ فيها كلُّ الملوك!

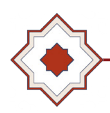
**وأمَّا في الآخرة**، فقد أَتْبَعَ مسلمٌ هذا الحديثَ بالحديث الذي رواه هو والبخاريُّ وغيرُهما، من غير وجهٍ عن جماعةٍ من الصحابة، أن رسول

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٣٠). وبنحو هذا قال في تذكرة الحفاظ (٢/ ١٩٥).

(٢) مُرادُ الذهبي: المحبّين لمعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
والـمُشارُ إليه هنا: هو أبو محمد عبد الله بن جعفر بن فارس الأصبهاني، الراوي عن يونس بن حبيب الأصبهاني العِجلي راوي مسند أبي داود الطيالسي. وكلامُه هذا موجودٌ في مسند أبي داود الطيالسي - تحقيق محمد التركي - (٤/ ٤٦٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٢٣).



الله ﷺ قال: «اللهم إنما أنا بشرٌ، فأيُّما عبد سببتُه أو جلدتُه أو دعوتُ عليه، وليس لذلك أهلًا، فاجعلْ ذلك كفارةً وقُرْبةً تُقرِّبُه بها عندك يومَ القيامة». فركَّب مسلمٌ من الحديث الأول وهذا الحديث فضيلةً لمعاوية، ولم يُوردْ له غيرَ ذلك»(١).

وقال العلّامةُ الألبانيُّ: «قد يَستغلُّ بعضُ الفِرَق هذا الحديثَ ليتخذوا منه مَطعنًا في معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وليس فيه ما يساعدهم على ذلك، كيف وفيه أنه كان كاتبَ النبي ﷺ؟! ولذلك قال الحافظُ ابنُ عساكر (١٦/ ٣٤٩/ ٢) «إنه أصحُّ ما ورد في فضل معاوية» فالظاهرُ أن هذا الدعاءَ منه ﷺ غيرُ مقصود، بل هو ما جرت به عادةُ العرب في وَصْل كلامها بلا نيةٍ، كقوله ﷺ في بعض نسائه: «عَقْرى حَلْقى» و«تَرِبتْ يمينُكِ».

ويمكن أن يكون ذلك منه ﷺ بباعث البشرية التي أفصح عنها هو نفسه عليه السلام في أحاديثَ كثيرةٍ متواترةٍ. منها حديثُ عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: «دخل على رسول الله ﷺ رجلان، فكلَّماه بشيءٍ لا أدري ما هو فأغضباه، فلعنهما وسبَّهما، فلما خرجا قلتُ: يا رسول الله، من أصاب من الخير شيئًا ما أصابه هذان؟ قال: «وما ذاكِ»؟ قالت: قلتُ: لعنتَهما وسببتَهما، قال: «أوَ ما علمتِ ما شارطتُ عليه ربي؟ قلتُ: اللهم إنما أنا بشرٌ، فأيُّ المسلمين لعنتُه أو سببتُه فاجعلْه له زكاةً وأجرًا»(٢).

(١) البداية والنهاية (١١/ ٤٠٢).
(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ١٦٥) رقم (٨٢).

ويُمكنُ أنْ يُقالَ: إنَّ هذا دعاءٌ له لا عليه؛ لأنّ الأكلَ حتى الشِّبَع مذمومٌ في الجملة، لما تقدَّم من قوله ﷺ: «مَا مَلأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ ....» الحديث، وما في معناه من الأحاديث، فيكونُ في حقيقته دعاءً له بعدم الشِّبَع المذموم. أو بعدم التُّخْمة[1]، وهذا في مصلحة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والله أعلم[2].

(١) كما قال سبط بن العجمي في كنوز الذهب في تاريخ حلب (١/ ١٢٣).

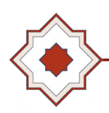
(٢) أمَّا ما رُويَ عن الإمام النسائي رَحِمَهُ اللَّهُ فيما نقله عنه صاحبُه محمد بن موسى المأموني، قال: «سمعتُ قومًا يُنكرون على أبي عبد الرحمن النسائي كتابَ (الخصائص لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وتركه تصنيفَ فضائل الشيخين أبي بكر وعمر، فذكرتُ له ذلك، فقال: دخلتُ دمشقَ والمنحرفُ بها عن علي كثيرٌ، فصنفتُ كتابَ (الخصائص) رجوتُ أن يهديَهم اللهُ تعالى. ثم إنه صنف بعد ذلك فضائلَ الصحابة وقرأها على الناس. فقيل له وأنا أسمع: ألا تُخرج فضائلَ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ فقال: أيُّ شيءٍ أُخرج: حديثَ: «اللهمَّ لا تُشبع بطنَه»؟! فسكت السائل.

وفي روايةٍ: ما أعرف له فضيلةً إلا «لا أشبعَ اللهُ بطنَه» فما زالوا يدفعون في خِصْيتيه حتى أخرجوه من المسجد! وفي روايةٍ أخرى: يدفعون في خِصْيتيه وداسوه! ثم حُمل إلى الرملة فمات.

فهذه القصةُ - إنْ صحَّت - لا تدلُّ على سوء اعتقاد النسائي في معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقد أجاب العلماءُ عن ذلك بأجوبةٍ عدّةٍ، منها:

- ما قاله الحافظُ ابنُ عساكر: هذه الحكاية لا تدلُّ على سوء اعتقاد النسائي في معاوية، وإنما تدلُّ على الكفِّ عن ذكره بكلّ حالٍ.

ثم روى بإسناده عن أبي الحسن علي بن محمد القابسي قال: سمعت أبا علي الحسن بن أبي هلال يقول: «سئل أبو عبد الرحمن النسائي عن معاوية بن أبي سفيان صاحب رسول الله ﷺ فقال: إنما الإسلام كدارٍ لها بابٌ، فباب الإسلام الصحابة، فمن آذى الصحابة إنما أراد الإسلام، كمن نقر الباب إنما يريد دخول الدار، قال: فمن أراد معاوية فإنما أراد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ». تهذيب الكمال (١/ ٣٣٩)، وبغية الراغب المتمني (ص:١٢٩).=



## وممّا جاء من أخبار أكَلَاته أيضًا :

أنّه أُصلِحَ له عِجْلٌ مَشْوِيٌّ، فأكل معه دَسْتًا من الخبز السميد، وأربع فَرَاني[(١)]، وجَدْيًا حارًّا، وجَدْيًا باردًا، سوى الألوان. ووُضع بين يديه مائةُ رِطل من الباقلّاء الرّطْب، فأتى عليه![(٢)].

= – ومنهـا: ما قاله الشـيخُ أبو إسـحاق الحُوينـي: «الذي يظهر لي أن النسـائي ما قصد الغَضَّ من معاوية قطّ – إن شـاء الله تعالى – ولكن جرى أهلُ العلم والفضل – كما قال الشـيخُ العلامـةُ ذهبيُّ العصر المعلمـيُّ اليمانيُّ رحمه الله تعالـى في التنكيل (١/ ١٢) – على أنهم إذا رأوا بعضَ الناس غَلَوْا في بعض الأفاضل، أنهم يطلقون فيهم بعضَ كلماتٍ يؤخذ منها الغَضُّ من ذاك الفاضل، لكي يكفَّ الناسُ عن الغُلُوِّ فيه، الحامل على اتّباعه فيما ليس لهم أن يتّبعوه فيه. وذلك لأن أكثرَ الناس مُغرمون بتقليد من يُعظِّمَ في نفوسهم والغلوِّ في ذلك، حتى إذا قيل لهم: إنه غيرُ معصومٍ عن الخطأ، والدليلُ قائمٌ على خلاف قولـه عن كذا، فدل على أنه أخطأ، ولا يحلُّ لكـم أن تتبعوه على ما أخطأ فيه! قالوا: هو أعلـم منك بالدليل، وأنتم أولى بالخطأ منه، فالظاهرُ أنـه قد عرف ما يدفع دليلَكم هذا! ولذا ترى بعضَ أهل العلم يغضُّ من مكانة ذلك الفاضل لردع هؤلاء السائمة .....

فقولُ النسائي في معاوية يخرج من هذا المخرج، وعلى هذا تُحمل كلمتُه، فقد رأى خلقًا احترقوا في حب معاوية، وهلكوا في بغض عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فأراد أن يغضَّ من معاوية قليلًا حتى لا يهلك فيه ذاك المحترق!». مقدمة تحقيقه لخصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: للنسائي (ص: ١٧).

– ومنها: أنه لو كان عند النسـائي انحـرافٌ وبغضٌ لمعاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما أخرج أحاديثَه في كتبـه. بل على العكس من ذلك، فقد أخرج له في «سـننه الصغرى» وحدَها ثمانيةَ عشـر حديثـًا! مع كون معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ليس مـن الصحابة المكثرين من رواية الأحاديث. والله أعلم.

(١) الفُرْنِيَّة: الخُبْزة الـمُستَدِيرة العَظيمة، وهي خُبْزة تُسَـوَّى ثمَّ تُروَّى لَبَنًا وسُـكَّراً وسَـمْنـًا، وَالْجمع فَرَانِي. انظر: المخصص (١/ ٤٣٦).

(٢) نثر الدرّ (٢/ ١٧٩)، والتذكرة الحمدونية (٩/ ٩٧).

وقـال المدائنيُّ في كتاب «الأَكَلَة»: كان معاويةُ يأكل أربعَ أكلاتٍ[١]، آخرُهن أعضلُهنَّ وأشدُّهنَّ، يتعشّى فيأكلُ ثريدةً عظيمةً عليها بصلٌ كثير! وكان فاحشَ الأكل يَلْطَخ مِنديلين أو ثلاثةً قبل أن يَفرُغَ، وكان يأكل حتى يتَسَطَّح، ثم يقول: يا غلامُ ارفعْ، فواللهِ ما شبعتُ، ولكن مَلَلْتُ![٢].

وقد تزيَّدَ عليه بعضُ الأخباريين شيئًا من الحكاياتِ المختلَقةِ مما لا تَصحُّ عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأعرضتُ عن ذِكرها.

ولـذا قال أبـو المعالي ابنُ حمـدون البغدادي: «وقـد ذُكِرتْ عنه في ذلـك أخبارٌ مُسـتهْجَنةٌ، ألفيتُها يُخالفهـا المأثورُ من حِلْمـه وهمّته. وإنّ امرأً سَـمَتْ هِمّتُه إلـى مُناوأة علي بن أبي طالـب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومغالبته على الخلافة، مع تباعد اسـتحقاقه منهـا، لَبعيدٌ أن يَبخلَ على طعامٍ، ويُحامي دونَ أكله! ويبذل البُذُول لرفع الأيدي عنه! كما رووْا أنه كان يفعل»[٣].

وقال خليفةُ بنُ خياط: «جمع عمرُ الشامَ كلَّها لمعاوية، وأقره عثمانُ. قلتُ (القائل الذهبي): حسـبُك بمن يُؤمِّره عمرُ، ثم عثمانُ على إقليمٍ - وهو ثَغْرٌ فيضبطُه، ويقومُ به أتمَّ قيامٍ، ويُرضِي الناسَ بسخائه وحلمه»[٤].

ثـم أنّى يكونُ ذلك؟! وهـو الذي كان يصلُ أعيـانَ الصحابة وذوي

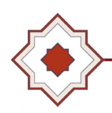
---

(١) تقدم في كلام ابن كثير أنها سبعٌ، فلعلّ هذا في بعض الأيام، وذاك في بعضٍ آخر!

(٢) نثر الدرّ (٢/ ١٨٠). ومعنى يَتَسَطَّح: أيْ يَـمْتَدُّ عَلَى قَفَاهُ فَلاَ يَتَحَرَّكُ. انظر: مقاييس اللغة (٣/ ٧٢).

(٣) التذكرة الحمدونية (٩/ ٩٧).

(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٣٢).



الشرف بصِلاتٍ عظيمةٍ لم يُسبَقْ إليها، كما ترجمته في «البداية والنهاية»[1]. فرضيَ اللهُ عنه وأرضاه.

❋❋❋

### ❋ مَيْسرة بن عبد ربّه الفارسيّ البصريّ، المعروف بمَيْسرة التَّرَّاس.

أحدُ رواة الأحاديث، إلّا أنه مع كونه بَلَّاعا كان وَضَّاعا! فقد كان يضعُ الأحاديثَ لترغيب الناس في الخير!!

**قال ابنُ حبان:** «كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات، ويضع المعضلات عن الثقات، في الحثِّ على الخير والزجر عن الشر! لا يَحلُّ كتابةُ حديثه إلّا على سبيل الاعتبار»[2].

**وقال محمد بن عيسى بن الطبّاع:** «قلتُ لميسرة بن عبد ربه: من أين جئت بهذه الأحاديث: من قرأ كذا وكذا كان له كذا؟ قال: وضعتُه أرغِّب الناسَ فيه!!»[3].

### ومن أخبار أكْلاته:

- **قال الأصمعيُّ:** قال لي الرشيدُ: كم أكثر ما أكل ميسرة؟ قلتُ: مائةَ رغيفٍ، ونصفَ مَكُّوكِ مِلْحٍ![4]، فأمر الرشيدُ، فطُرح للفيل مائةُ رغيفٍ،

(١) (١١/ ١٤٦) من طبعة دار عالم الكتب.
(٢) المجروحين لابن حبان (٣/ ١٢).
(٣) تاريخ الإسلام (٤/ ٧٥٤).
(٤) تقدّم بيانُ مقدار المكُّوك في ترجمة سليمان بن عبد الملك.



فأكل تسعةً وتسعين، وفَضَلَ منها رغيفٌ![1].

يعني أنه غلبَ الفيلَ في الأكل!!

- وقال عبدُ الواحد بنُ غياث: كنتُ مع قوم من أبناء المترَفين، إذ أقبل ميسرةُ الترّاس على حماره، فلما دنا منهم، قالوا له: هل لك في كَبشٍ مَشويٍّ؟ قال: نعم، ما أكره ذاك، فأخذوا حماره، فغيّبوه عنه، وأمروا الغلمان فذبحوه، وشَوَوْه له! ثم جِيء به في جَفْنةٍ معه خبزٌ، فأقبل يأكل، ويقول: أهذا لحمُ فيلٍ؟! بل لحمُ شيطانٍ! حتى أتى عليه كلّه! ثم قال لهم: حماري؟ قالوا: حمارُك في بطنك! قال: أَيْش[2] تقولون؟! قالوا: أَيْشٍ ثمنُه؟ قال: كذا وكذا، فوزّعوه بينهم فأعطوْه![3].

- وقال الأصمعيُّ: نَذَرَتْ امرأةٌ أنْ تُشبعَ مَيسرةَ الترّاس! فأتته وقالت: اقتصدْ عليّ فإني امرأةٌ مُتجمِّلةٌ غيرُ مُتموِّلة! قال: فإني أقتصد، فذكر لها من أصناف الطعام، فإذا هو قُوتُ سبعين رجلًا! فاتّخذتْه، ثم أحضرتْ مَيسرة، فأكله عن آخرِه!![4].

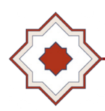
(١) معجم ابن الأعرابي (٣/ ٩١٠)، وشرح نهج البلاغة (١٨/ ٤٠١)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ١٦٥)، وتاريخ الإسلام (٤/ ٧٥٥). قال الذهبي: هذه حكاية صحيحة.

(٢) فائدة: كلمةُ أيْشٍ: كلمةٌ منحوتةٌ من: أيُّ شيءٍ؟

قال الكسائيُّ: «من العَرَب من يَقُول: لاذَا جَرَم، وَلَا أَنْ ذَا جَرَم، وَلَا عَن ذَا جَرَمَ، وَلَا جَرَ، بِلَا مِيمٍ، وَذَلِكَ أنهُ كَثر فِي كَلَامهم فَحُذِفَت الْمِيم. كَمَا قَالُوا: حاشَ للهِ وَهُوَ فِي الأَصْل (حاشى). وكما قَالُوا: أَيْشٍ، وإنما هُوَ أَيُّ شَيْءٍ. وكما قَالُوا: سَوْتَرى، وإنَّما هُوَ سَوْفَ تَرى». تهذيب اللغة (١١/ ٤٧).

(٣) معجم ابن الأعرابي (٣/ ٩١٢)، وتاريخ الإسلام (٤/ ٧٥٥).

(٤) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٦٥)، وتاريخ الإسلام (٤/ ٧٥٥)، وميزان الاعتدال (٤/ ٢٣١).



**قلتُ**: هذا مع الاقتصاد، فكيف لو لم يَقتصدْ؟!

**وقال مسلمُ بنُ إبراهيم**: قلتُ لميسرةَ الترّاس: أَيْشٍ أكلتَ اليوم؟ قال: أكلتُ أربعةَ آلاف تينة، ومائةَ رغيف، وقَوْصرتين بصل، وكِيلَجَةَ سمكٍ، ومَسْلوخ، وشربتُ نصفَ جَرّة سمن!! قال: فدخلتُ منزلي فما خَلَّوْا شيئًا حتى خَبّأوه مني![1].

**قلتُ**: هذا ليس بطنًا وإنما حاويةٌ!!

- **وقيل**: إنه كان يُزوِّق السُّقوفَ[2]، فطلبه رجلٌ يُزوِّق دارَه، ثم دعا الرجلُ ثلاثين رجلًا وصنع لهم طبائخ، فلما فرغ الطبَّاخُ، خرج لحاجةٍ فرأى مَيسرةُ خَلْوةً، فنزل فأكل الطعامَ جميعَه، وعاد إلى عمله، فجاء الطبَّاخُ وليس في المطبخ سوى العظام!! فأَعْلمَ صاحبَ الدار، وقد حضر الناسُ، فحارَ ولم يَدْرِ من أين أُتِيَ، وأنكره القومُ فصَدَقَهم، فنهضوا وعاينوا العظامَ فتحيّروا، **وقيل**: هذا من فعل الجنّ!! فلمح رجلٌ منهم مَيسرةَ وكان يعرفه، فصاح: قد عرفتُ والله الخبر، هذا ميسرةُ عندك، وهو أكل طعامك، قال: فاستنزله من الموضع، فأنزلوه، فاعترف. وقال: لو كان لي مثلُه لأكلتُه! فإنْ شئتم فجرِّبوا!! فانصرف القوم إلى منازلهم، وطلع إلى عمله[3].

(١) مشيخة ابن البخاري (٣/ ١٨٠٩)، وتاريخ الإسلام (٤/ ٧٥٥)، وميزان الاعتدال (٤/ ٢٣١).
(٢) يعني كان عملُه نقَّاشًا.
(٣) ميزان الاعتدال (٤/ ٢٣١)، وتاريخ الإسلام (٤/ ٧٥٥)، ولسان الميزان (٨/ ٢٣٦).



وقال مسلمُ بنُ إبراهيم: سمعتُهم يقولون لميسرة الأكول: كم تأكل؟ قال: مِن مالي أو مِن مال غيري؟ قالوا: مِن مالك. قال: رغيفيْن. (وفي روايةٍ: مَكُّوكًا) قيل: فمِن مال غيرك. قال: اخْبِزْ واطْرَحْ!![1] .

❋❋❋

❋ الخليفة الواثق بالله، هارون بن محمد بن هارون الرشيد (ت ٢٣٢ هـ):

كان الخليفةُ الواثقُ أكُولًا، وكان مَفْتونًا بحُبِّ الباذنجان![2]، حتى إنه كان يُعمل له منه كلَّ يوم ألوانٌ كثيرةٌ، فيأكل منها كلَّ يومٍ ثلاثمائة باذنجانة! يأكل في الوجبة الواحدة أربعين باذنجانةً!

وكلُّ امرئٍ يَهْوَى على قَدْرِ عَقلِهِ ... وللناسِ فيما يَعشقُونَ مَذاهِبُ!

---

(١) انظر: عيون الأخبار (٣/ ٢٢٥)، والعقد الفريد (٦/ ٣٠٠)، وتاريخ الإسلام (٤/ ٧٥٥)، وميزان الاعتدال (٤/ ٢٣١).

(٢) فائدة: جاء في بهجة المجالس لابن عبد البرّ (٣/ ٧٦): «ذكر أبو الحسن بن مقسم، قال: سمعت محمد بن مسلم الزجّاج جارَنا، قال: سمعت عباسَ الدُّوري، يقول: سمعت يحيى بن معين يقول: لا يَمَلُّ الباذنجانَ عاقلٌ!

وسمعتُ القاضي أبا عمرو، يقول: لو علم الثورُ الذي يحمل الباذنجانَ أنه عليه، تاه على الثيران!

قلتُ: هذا لمن استطابه، وعَذُبَ عنده، وأما من جهة الطبّ، فذَمُّه عندهم أكثرُ من مدحِه».

- وقد وضعَ الوَضَّاعونَ الوَضِيعُونَ حديثيْن في مدح الباذنجان، هما: «**الباذنجانُ لما أُكل له**»!! و «**الباذنجانُ شفاءٌ من كل داء**»!!

قال ابنُ القيم: «قبَّح اللهُ واضعَهما؛ فإن هذا لو قاله يُوحنَّسُ أمهرُ الأطباء لسخر الناسُ منه! ولو أُكِل الباذنجانُ للحُمَّى والسوداء الغالبة وكثيرٍ من الأمراض لم يزدْها إلَّا شِدّةً! ولو أكله فقيرٌ ليستغنيَ لم يُفِدْه الغنى! أو جاهلٌ ليتعلَّمَ لم يُفِدْه العلمَ!». المنار المنيف (ص: ٥١).



فبعث إليه أبوه المعتصمُ وقال له: دَعْ أكلَ الباذنجان واحفظْ بصرَك، فمتى رأيتَ خليفةً أعمى؟! - لأنّ معظمَ الرَّمَدِ بالعراق من أكل الباذنجان؛ لحَرِّ الإقليم والسوداء المتولِّدة من أكله -، فقال للرسول: قُلْ لأمير المؤمنين: إني تصدَّقتُ بعينيَّ على الباذنجان!!

ثم إنه رَمَدَ رَمْدةً صعْبةً ما تخلَّص منها إلّا وعلى إحدى عينيه بياضٌ كاد يسدُّها! ولذا عُدَّ من العُوْر!

ومن لطيفِ الكَلِمِ أنّ الصوليَّ لـمَّا ذكره قال: «كان في عينه اليسرى كَوكَبٌ خفيفٌ!»، وهذا كنايةٌ عن العَوَر![1].

---

(١) انظر: وفيات الأعيان (٢/ ٢٦٧)، والعقد الفريد (٦/ ٣٠٠)، وحدائق الأزاهر (ص: ١٢٢).

لطيفة: اشتهر أمرُ إصابة الواثق في عينه بسبب كثرة أكله الباذنجان، فكان ذلك مرتعًا للشعراء ما بين مادح وقادح!

- فممّن هجاه شاعرٌ اسمُه عليٌّ الطنبوريُّ، يُلقّب بالمسدود - سُمي بذلك لجسمٍ سدَّ أحدَ مِنخريْه! -، فقد حصل أنْ هجا الواثقَ وهو وليُّ عهد أبيه، بقوله:

مِن المسدودِ في الأنفِ ... إلى المسدودِ في العينِ!
أنا طَبْلٌ له شِقٌّ ... أيا طَبْلًا بِشِقَّيْنِ!

فلما كان يوم تفرقة العطاء كتب المسدودُ مُستَحَقَّه في ورقةٍ وجعلها في عمامته مع ورقة الهجْو، ثم دخل على الخليفة فناوله ورقةَ الهجو غَلَطًا منه! فقرأها وضحك، وقال: خُذْ هذه وهاتِ ورقةَ المستَحَقّ ولا تَعُدْ في مثل هذا، وقضى حاجتَه!

قلتُ: هذا غايةُ ما يكونُ من الحِلْم! ولذا قال حمدون بن إسماعيل: ما كان في الخلفاء أحلمَ من الواثق ولا أصبرَ على أذىً وخلافٍ.

- وممّن مدحه السَّريُّ الرفّاء، حيثُ يقول:

أيُّهذا الأميرُ ما رَمَدَتْ عيـ ... ـناك حاشا لها ولا أجفانُكْ
بل حَكَتْ فِعلَكَ الكريمَ لِيَضْحى ... شأنُها في العُلى سَواءٌ وشانُكْ
فَهْيَ تَحمرُّ مثلَ سيفِك في الرَّوْ ... عِ وتصفو كما صفا إحسانُكْ!

### * هلال بن الأسْعَر المازنيّ (ت نحو ١٣٠ هـ):

قال أبو الفرج الأصبهاني: «شاعرٌ إسلاميٌّ من شعراء الدولة الأموية، وأظنه قد أدرك الدولة العباسية»[١].

- رُوي أنّ خالد بن كلثوم دخل على الخليفة العباسي المنصور، فقال له المنصور: يا خالد! حدِّثني عن هلال بن الأسعر، ومَن هو؟ وما كان منه. فقال: نعم وكرامةً يا أمير المؤمنين! هو هلال بن الأسعر بن خالد بن أرقم بن قسيم بن ناشرة بن سيّار بن رزام بن مازن بن مالك بن غمر بن تميم. شاعرٌ فحلٌ من شعراء الدولة الأموية مولّدًا. كان رجلًا شديدًا[٢]، عظيمَ الخَلْق، أكُولًا، معدودًا من الأكَلَة. عُمّر زمانًا طويلًا،

---

= انظر: الأغاني (٢٠/ ٣٠٦)، والمجموع اللفيف (ص: ٣١٩)، والتذكرة الحمدونية (٢/ ١٣٢)، ونثر الدرّ (٣/ ٨٨)، والهفوات النادرة (ص:٢٢)، والإنباء في تاريخ الخلفاء (ص: ١١٢)، وغرر الخصائص الواضحة (ص: ٤٨٠).

(١) الأغاني (٢/ ١٧٥).

(٢) ممّا يدلّ على شِدّته:

- أنّه كان يومًا في إبلٍ له، وذلك عند الظهيرة في يوم شديد وقع الشمس، محتدم الهاجرة. فعمد إلى عصاه فطرح عليها كساءَه ثم أدخل رأسَه تحته من حَرّ الشمس. فبينا هو كذاك إذ مرّ به رجلان، أحدهما من بني نهشل والآخر من تميم، وكانا أشدَّ تميميّين في ذلك الوقت بطشًا، يقال لأحدهما: الهيّاج؛ وقد أقبلا من البحرين ومعهما أنواطٌ من تمر هَجَر، وهلال بناحية الصعاب. فلمّا انتهيا إلى الإبل ولا يعرفان هلالًا بوجهه ولا الإبلَ، فناديا: يا راعيَ الإبل! أعندك شرابٌ تسقينا؟ وهما يظنّان أنّه عبدٌ لبعضهم! فناداهما هلالٌ ورأسُه تحت كسائه: عليكما بالناقة التي صفتها كذا في موضع كذا فانتحياها؛ فإنّ عليها وَطْبَيْن من لبنٍ فاشربا منهما ما بدا لكما، فقال أحدُهما: ويحك يا غلامُ انهض فأتنا بذلك اللبن! فقال: إن يكُ لكما حاجةٌ فستأتيانها. قال؛ فقال أحدهما: إنّك يا ابن اللخناء=



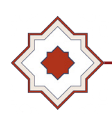
= لغليظُ الكلام قم فاسقنا! ثم دنا منه وهو على تلك الحال فأهوى له ضربًا بالسوط على عجزه وهو مضطجعٌ، فتناول هلالٌ يده فاجتذبه ورماه تحته ثم ضغطه، ونادى صاحبَه: ويحك أغثني قد قتلني! فدنا منه صاحبُه فتناول هلالٌ أيضًا الآخَرَ فاجتذبه فرمى به تحت فخذه الآخَر، ثم أخذ برقابهما فجعل يصكّ رؤوسَهما بعضًا ببعضٍ لا يستطيعان أن يمتنعا منه، قال أحدهما: كُنْ هلالًا ولا نبالي ما صنعتَ! فقال لهما: أنا والله هلالٌ، ولا والله تفلتان من يدي حتّى تعطياني عهدًا وميثاقًا لا تَخيسان به، لتأتيانِّ المِربدَ إذا قدمتما البصرةَ ولتناديانّ بأعلى أصواتكما بما كان مني ومنكما، فعاهداه وأعطياه نوطًا من التمر، وقدما البصرة فناديا بذلك!! الأغاني (٢/ ١٧٦).

- **وقال خالد بن كلثوم** عن خالد بن كنيف بن عبد الله المازني، قال، كنت يومًا مع هلال ونحن نبغي إبلًا لنا فدُفعْنا إلى قوم من بكر بن وائل وقد لَغِبنا وعطِشنا، وإذا نحن بفِتيةٍ شبابٍ عند رَكيّة لهم، وقد وردتْ إبلُهم، فلمّا رأوا هلالًا استهولوا خَلْقه وقامته، فقام رجلان منهم إليه، فقال له أحدُهما: يا عبد الله! هل لك في الصِّراع؟ فقال له هلال: أنا إلى غير ذلك أحوج! قال: وما هو؟ قال: إلى لبنٍ وماءٍ فإنّي لَغِبٌ ظمآنُ. قالا: ما أنت بذائقٍ من ذاك شيئًا حتّى تعطيَنا عهدَ الله لتجيبنّنا إلى الصراع إذا رَويت وأرحت! قال هلال: إني لكما ضيفٌ والضيفُ لا يصارِع ربَّ منزله، وأنتم مُكتفون من ذلك بما أقول لكم: اعْمدوا إلى أشدّ فحلٍ في إبلكم وأهيبه صولةً، وإلى أشدّ رجلٍ منكم ذراعًا، فإن لم أقبض على هامة البعير وعلى يد صاحبكم، فلا يمتنع الرجل ولا البعير حتّى أُدخل يدَ الرجل في في البعير كَرْهًا منهما؛ فإن لم أفعل ذلك فقد صرعتموني، وإن فعلتُه علمتم أنّ صراعَ أحدكم أيسرُ من ذلك! قال: فعجبوا من مقالته تلك، وأُوميَ إلى فحلٍ في إبلهم هائجٍ صائلٍ قِطَمٍّ (هائج)، فأتاه هلالٌ ومعه أولئك النفر وشيخٌ لهم، فأخذ بهامة الفحل مما فوق مشفره فضغطها ضغطةً جَرْجَرَ (صَوَّتَ) منها الفحلُ فاستخذى ورغا! وقال: ليُعطني من أحبّ يده حتّى أُولجَها فمَ هذا الفحل! قال: يقول الشيخ: يا قوم! تنكبّوا عن هذا الشيطان فوالله ما سمعت هذا الفحلَ جَرْجَر منذ بَزَلَ (خرج نابُه) قبل اليوم! فلا تَعْرِضوا له. وجعلوا يَتبعونه وينظرون إلى خَطوه، ويعجبون منه. كنز الدرر (٥/ ٣٦).

- **وقال عن نفسه:** قدمتُ المدينةَ وعليها رجلٌ من آل مروان، فلم أزل أضع عن إبلي وعليها أحمالٌ للتجار حتى أُخذ بيدي وقيل لي: أجب الأمير. قال: فقلتُ لهم: =

=ويلكم إبلي وأحمالي، فقيل: لا بأس على إبلك وأحمالك. قال: فانطُلِق بي حتى أُدخلتُ على الأمير، فسلمتُ عليه ثم قلتُ: جُعلتُ فداك، إبلي وأمانتي. قال: فقال: نحن ضامنون لإبلك وأمانتك حتى نؤديها إليك. قال: فقلت عند ذلك: فما حاجةُ الأمير إليّ جعلني الله فداه؟ قال: فقال لي - وإلى جنبه رجلٌ أصفر لا والله ما رأيتُ رجلًا قطُّ أشدَّ خَلْقًا منه ولا أغلظَ عُنقًا، وما أدري أطولُه أكثرُ أم عَرضُه؟!-: إن هذا العبدَ الذي تراه لا والله ما ترك بالمدينة عربيًا يُصارِع إلا صرعه، وبلغني عنك قوةٌ، فأردتُ أن يُجريَ اللهُ صَرْعَ هذا العبد على يديك، فتدرك ما عنده من أوتار العرب. قال: فقلتُ: - جعلني الله فداءَ الأمير - إني لَغِبٌ نَصِبٌ جائعٌ، فإنْ رأى الأميرُ أن يدعَني اليومَ حتى أضعَ عن إبلي وأؤدي أمانتي وأُريح يومي هذا وأجيئَه غدًا فليفعل. قال: فقال لأعوانه: انطلِقوا معه فأعينوه على الوضع عن إبله وأداء أمانته، وانطلِقوا به إلى المطبخ فأشبعوه، ففعلوا جميعَ ما أمرهم به.

قال: فظللتُ بقيةَ يومي ذلك، وبتُّ ليلتي تلك بأحسن حالٍ شِبعًا وراحةً وصلاحَ أمرٍ. فلما كان من الغد غدوتُ عليه وعليَّ جُبّةٌ لي صوفٌ وبَتٌّ (ثوبٌ من صوفٍ غليظٍ شبه الطيلسان، جمعُه، بُتوتٌ)، وليس عليّ إزارٌ، إلا أني قد شددتُ بعمامتي وسطي، فسلمتُ عليه فردَّ عليَّ السلام، وقال للأصفر: قُمْ إليه فقد أرى أنه أتاك الله بما يخزيك، فقال العبد: اتَّزرْ يا أعرابي، فأخذت بَتِّي فاتَّزرت به على جبتي، فقال: هيهات، هذا لا يثبت، إذا قبضتُ عليه جاء في يدي، قال: فقلتُ: والله ما لي من إزارٌ. قال: فدعا الأمير بمِلحفة ما رأيتُ قبلَها ولا علا جلدي مثلَها، فشددتُ بها على حِقْوي وخلعتُ الجُبّة، قال: وجعل العبدُ يدور حولي ويريد خَتْلي وأنا منه وَجِلٌ ولا أدري كيف أصنع به، ثم دنا مني دَنوةً فنقد جبهتي بظُفره نقدةً حتى ظننتُ أنه قد شجّني وأوجعني، فغاظني ذلك، فجعلت انظر في خلقه بم أقبض منه، فما وجدت في خلقه شيئًا أصغرَ من رأسه، فوضعت إبهاميّ في صدغيه وأصابعي الأُخر في أصل أذنيه ثم غمزته غمزةً صاح منها: قتلتني قتلتني! فقال الأمير: اغمس رأسَ العبد في التراب. قال: فقلتُ له: ذلك لك عليَّ. قال: فغمستُ والله رأسه في التراب، ووقع شبيهًا بالمغشيِّ عليه! فضحك الأميرُ حتى استلقى، وأمر لي بجائزةٍ وكسوةٍ وانصرفتُ. الأغاني (٢/ ١٧٧).



ومـات بعـد بلايا عظـامٍ مرّت على رأسـه. وكان يَرِد مع الإبـل فيأكل ما وجـد عند أهلـه، ثم يرجع إلى الإبـل، ولا يتزوّد طعامًا ولا شـرابًا حتّى يرجع يـوم وِرْدها، لا يذوق فيما بين ذلك شـيئًا! وكان عادِيَّ الخَلْق[1]، لا تُوصَف صفتُه[2].

**وقال أبو عمرو:** «كان هلالٌ فارسًـا شجاعًا، شديدَ البأس والبطش، أكثرَ الناس أكلًا، وأعظمَهم في حربٍ غَنَاءً»[3].

**وقـال ابنُ ماكولا:** «هلال بن أسـعر، بصريٌّ، يُوصـف بكثرة الأكل وشدة القوة وعِظَم الخَلْق، روى عنه سليمان التيمي وصدقة بن عبيد الله المازني»[4].

## وأمّا أخبارُ أكله فكثيرةٌ، منها:

- **ما جاء عن المعتمر بن سـليمان، قال:** قلتُ لهلال بن الأسـعر: ما أكلةٌ أكلتَها بلغتْني عنك؟ قـال: جُعْتُ مرّةً ومعي بعيري فنحرتُه وأكلتُه! إلاّ مـا حملتُ منـه على ظهري، ثم أردتُ امرأتي فلم أقدِرْ على جِماعها، فقالت: كيف تصلُ وبيننا بعيرٌ؟! قال المعتمر: فقلت له: كم تكفيك هذه الأكلة؟ قال: أربعةَ أيامٍ!

---

(١) يُقال عن الرجل: إنه عاديُّ الخَلْق إذا كان عِملاقًا هائلَ الخَلْق جسـيمًا. تكملة المعاجم العربية: لدوزي (٧/ ٣٤٧).

(٢) الأغاني (٢/ ١٧٥).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف (١/ ٨٦).

**وفي روايةٍ أخرى**: أنه أكل فصيلًا وأكلتْ امرأتُه فصيلًا؛ فلما أراد أن يجامعَها لم يصلْ إليها، فقالت له: وكيف تصل إليّ وبيني وبينك بعيران؟!(1).

- وكان يَضع القَمْعَ(2) على فِيه، ويَصُبُّ اللبنَ أو النبيذَ!!(3).

- **وقال الأصمعيّ، ثنا فضالة بن الفزاري، قال**: «شهدتُه في عُرْسٍ - يعني هلال بن أسعر المازني - أكَلَ ثلاثَ جفانٍ، كلُّ جَفْنَةٍ تُهيَّأ لعشرةٍ! قال: فقال له غياثٌ: شبعتَ؟ قال: نعم، ولو أشاء أنْ أزدادَ! قال: فأُتي بقَعْبِ (إناءٌ يَروي شخصًا واحدًا) لبنٍ ونخلةِ تمرٍ، فأكل وشرب!»(4).

- **وقال الأصمعيّ أيضًا**: دعا عبّادُ بنُ أخضر هلالَ بنَ أسعر إلى وليمةٍ، فأكل مع الناس حتى فرغوا، ثم أكل ثلاثَ جِفانٍ تُصنع كلُّ جَفنةٍ لعشرة أنفس؛ فقال له: شبعتَ؟ قال: لا! فأتوه بكل خبزٍ في البيت فلم يشبع! فبعثوا إلى الجيران؛ فلمّا اختلفتْ ألوانُ الخُبز علم أنه قد أضرَّ بهم فأمسك؛ فقالوا: هل لك في تمرِ شِهْريزٍ(5) بلبنٍ؟ فأتوه به فأكل منه قواصِرَ

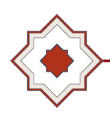
(1) معجم ابن الأعرابي (٣/ ٩١٠)، وعيون الأخبار (٣/ ٢٢٦)، وكنوز الذهب (١/ ١٢٣)، وتوضيح المشتبه (١/ ٢٠٢).

(2) **القَمْعُ** - بكسر القاف وفتحها -: إناءٌ مخروطيُّ الشكل يُوضَعُ في فم الوعاء ثم يُصَبُّ فيه السائل. المعجم الوسيط (٢/ ٧٥٩).

(3) المستطرف في كل فن مستطرف (ص: ١٩٠).

(4) معجم ابن المقرئ (ص: ٣٦٩).

(5) **الشِّهْرِيز والشُّهْرِيز**: ضَرْبٌ من التمر معرَّب، وأنكر بعضُهم ضم الشين، والأكثر الشِّهْرِيز. ويقال فيه: سِهْرِيز وشِهْرِيز بالسين والشين جميعًا، وإن شئت أَضفتَ، مثل: ثوبُ خزٍّ وثوبٌ خَزٌّ. لسان العرب (٤/ ٢٣٥٢).



(وعاءٌ للتمر من قَصَب)؛ فقالوا له: أشَبِعْتَ؟ قال: لا! قالوا: فهل لك في السّويق؟ قال: نعم؛ فأتوه بجرابٍ ضخْمٍ مملوءٍ؛ فقال: هل عندكم نبيذٌ؟ قالوا: نعم؛ قال: أعندكم تَوْرٌ تغتسلون فيه من الجنابة؟! فأُتِيَ به، فغسله وصبّ السّويقَ وصبّ عليه النبيذَ، فما زال يفعل ذلك حتى فنيَ!![1].

قلتُ: أعوذُ باللهِ أنْ أُبتَلَى بمثل هذا الضيف!!

- ونقل أحمدُ بنُ الحارث عن المدائنيّ أنّ هلالَ بنَ أسعر مرَّ على رجلٍ من بني مازن بالبصرة وقد حمل من بستانه رُطَبًا في زواريق، فجلس على زَوْرقٍ صغيرٍ منها، وقد كُتِبَ (جُمِعَ) الرُّطَبُ فيه وغُطِّيَ بالبَواري (الحُصُر)، فقال له: يا ابن عمّ، آكلُ من رُطَبك هذا؟ قال: نعم، قال: ما يكفيني؟! قال: ما يكفيك، فجلس على صدر الزَّوْرَق وجعل يأكل إلى أن اكتفى، ثم قام فانصرف، فكشفَ الزَّوْرَقَ فإذا هو مملوءٌ نوىً، قد أكل رُطَبَه وألقى النوَى فيه!![2].

- وقال المدائنيُّ: حدّثني مَن سأله عن أعجب شيءٍ أكله، فقال: مائتيْ رغيفٍ مع مَكُّوك[3] مِلحٍ!![4].

- وقال بعضُهم: رأيتُ هلالَ بنَ الأسعر المازني أكل ثلاثَ جِفانِ ثريدٍ، واستسقى، فجاءُوا بِقربةٍ مملوءةٍ نبيذًا فوضعوا فمَها في شِدْقه،

(١) عيون الأخبار (٣/ ٢٢٦).
(٢) الأغاني (٢/ ١٧٦)، والوافي بالوفيات (٢٧/ ٢١٩).
(٣) تقدّم بيانُ مقدار المكُّوك في ترجمة سليمان بن عبد الملك.
(٤) المصادر نفسها.

وصبُّوا القِربةَ حتى أفرغوها فشربهَا[1].

- وقال صدقةُ بنُ عُبيد المازني: أوْلَمَ عليَّ أبي لما تزوّجتُ، فعملْنا عشرَ جِفانٍ ثريدًا من جَزورٍ، فكان أولُ من جاءنا هلالُ بنُ أسعر المازنيُّ، فقدَّمنا إليه جَفنةً فأكلها، ثم أخرى، ثم أخرى، حتى أتى على العَشْر!! ثم استسقى، فأُتي بقِربةٍ من نبيذٍ، فوَضع طرفَها في شِدْقه، ففرَّغها في جوفه، ثم قام فخرج، فاستأنفْنا عملَ الطعام!![2].

❋❋❋

### ❋ هَيَّاج بن بَسْطام البُرجمي، أبو خالد الخراساني الهروي.

أحدُ رواة الحديث، لكنه ضعيفٌ عند أكثر النقَّاد، قال عنه الحافظُ ابنُ حجر: «ضعيفٌ، روى عنه ابنُه خالدٌ منكراتٍ شديدةً»[3].

قال محمدُ بنُ عبد الرحمن: بلغني أن الهيّاجَ كان أكُولًا، فكان يومًا على مائدة خزيمة بن خازم، فكان إذا أكل واستوفى يَلفُّ على المائدة!

(١) نثر الدرّ (٢/ ١٨١)، وشرح نهج البلاغة (١٨/ ٤٠٠).
(٢) الأغاني (٢/ ١٧٦)، والوافي بالوفيات (٢٧/ ٢١٩).
(٣) تقريب التهذيب (ص: ٥٧٦).

لطيفة: قال الهياج بن بسطام: استعنتُ بخزيمة بن خازم (الأمير، من كبار قُوّاد المأمون) على الأعمش، فركب خزيمةُ بسلامة صدرٍ في الطبول والأعلام إلى الأعمش، فقال: هذا ابنُ عمي، أُحبُّ أن تحدِّثه ويقرأ عليك القرآن. فغدوتُ على الأعمش، فقال: تستعينُ بذاك الطاغي؟ فركب في الطبول والأعلام، فتَفزع النساءُ والصبيانُ! والله لا أحدِّثك بحديثٍ أبدًا، ولا أحدِّث قومًا أنت فيهم وأنا أعلم، ولا أدعك تقرأ عليَّ حرفًا من كتاب الله تعالى!! إكمال تهذيب الكمال: لمغلطاي (١٢/ ١٨٤).



قال: ففطِن له خزيمةُ، فقال: أراك مُؤنِسًا مُوحِشًا!

**وقال مالكُ بنُ سليم:** كنا نكتب عن الهيّاج بن بَسطام، فكلما فرغنا من الحديث دعا بالوَضوء والخِوان، فلم يدعْ أحدًا منا حتى يأكل شاء أو أبى.

**وقال الحسينُ بنُ عمير الأعمش:** كان الهياجُ لا يُمكِّن أحدًا من حديثه حتى يَطعمَ من طعامه، كانت له مائدةٌ منصوبةٌ في داره لأصحاب الحديث، كلُّ من يأتيه لا يحدِّث إلا مَن يأكل من طعامه. قال الفضلُ: وكان مالكُ بن جولص يفعل ذلك، وقال: أخذتُ هذا عن الهيّاج، والهيّاجُ أخذه عن أخيه وأبيه، وأهلِ بيته[1].

***

* **يزيد بن عمر بن هُبيرة الفزاري، أمير العِراقَيْن (ت ١٣٢ هـ):**

**قال عنه الذهبيُّ:** «كان بطلًا، شجاعًا، سائسًا، جَوادًا، فصيحًا، خطيبًا. وكان من الأَكَلَة، وله في كثرة الأكل أخبارٌ»[2].

**قلتُ:** من تلك الأخبار، ما نقله أبو الحسن علي بن محمد المدائني، **قال:** كان يزيدُ بنُ عمر بن هبيرة شديدَ الأكل، كان إذا أصبح أتوه بعُسٍّ (قَدَحٌ يروي الثلاثةَ والأربعةَ) لبنٍ قد حُلِب على عسلٍ، وأحيانًا على سُكّرٍ، فيشربه.

---

(١) إكمال تهذيب الكمال (١٢/ ١٨٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٠٧).

فـإذا صلى الغداةَ جلـس في مُصلّاه حتى تَحِلَّ الصـلاةُ، فيُصلي، ثم يدخـل فيدعو بالغداء، فيـأكل دجاجتيْن، وناهِضيْـن[1]، ونصفَ جَدْيٍ، وألوانٍ من اللحم! ثم يخرج فينظر في حوائج الناس إلى نصف النهار، ثم يدخل فيدعو بالحَكَم وبِشْر ابنيْ عبد الملك بن بِشْر بن مروان، وخالد بن سلمة المخزومي، وعُتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وسعيد بن عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد، في أشباههم، فيتغدّى، فيضع مِنديلًا على صدره، فيُكثِر الأكلَ، ويُعْظِم اللُّقَم!

فـإذا فرغ تفرّقـوا، ودخل إلى نسـائه حتى يخرج إلـى الظهر، فينظر في أمـور النـاس، فإذا صلى العصرَ وُضعت الكراسـي للناس، ووُضع له سـريرٌ، فإذا أخذ الناسُ مجالسَهم أتَوْهُم بعِسَـاس اللبن والعسل وألوان الأشربة، ثم يُؤتَى بالطعام، فيأكل إلى المغرب!

**وفي روايةٍ:** ثم تُوضَع السُّـفَرُ والطعـامُ للعامّة، ويُوضع له ولأصحابه خِـوانٌ (مائـدة) مرتفعٌ فيـأكل معه الوُجـوهُ (الأعيان) إلـى المغرب! ثم يتفرّقون للصلاة، ثم يأتيه سُـمَّارٌ فيحضرون مجلسًـا يجلسون فيه، حتى يدعوهم فيسـامرونه حتى يذهبَ عامةُ الليل. وكان يُسـأل كلَّ ليلةٍ عشـرَ حوائجَ فإذا أصبحوا قُضيتْ.

وكان رَزْقُه (راتبُه) سـتمائة ألف! فكان يَقسـمُه كلَّ شهرٍ في أصحابه من قومه، ومن الفقهاء، ومن الوجوه وأهل البيوتات.

---

(١) **الناهض:** هو الفَرْخ الَّذِي قد وَفَر جَناحَاه ونَهَض للطَّيران. المخصص (٢/ ٣٢٣).



قال ابنُ شُبرمة - وكان من سُمّاره -:

إذا نحـنُ أعْتَمْنا ومالَ بنا الكَرَى ... أتانا بإحـدَى الراحَتيْـنِ عِياضُ

وعياضٌ بوّابُه، وإحدى الراحتيْن: الدخولُ أو الإذنُ بالانصراف.

ولم يكن لهم مناديلُ، فكان ابنُ هُبيرة إذا دعا بالمنديل قام الناسُ![1].

❋❋❋

(١) انظر: تاريخ دمشق (٦٥/ ٣٢٨)، ووفيات الأعيان (٦/ ٣١٩)، والوافي بالوفيات (٢٨/ ١٦)، وقلادة النحر في وفيات أعيان الدهر (٢/ ١٠٩).



# المشهورون بالكُنى

## * أبو الحسن ابنُ أبي بكر العَلَّاف :

هو ابنُ الشاعر المعروف أبي بكر بن الحسن بن علي بن أحمد بن يسار المعروف بابن العلَّاف الضرير النهرواني، صاحب القصائد الشهيرة في رثاء قِطِّه!

وكان مشهورًا بكثرةِ الأكلِ، حتى قال الصاحبُ بنُ عباد: «أنشدني أبو الحسن ابن أبي بكر العلاف - وهو الأكولُ المقدَّمُ في الأكل في مجالس الرؤساء والملوك - قصائدَ أبيه في الهِرّ»(١).

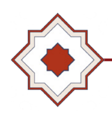
دخل أبو الحسن بنُ العَلَّاف على الوزيرِ المهلَّبيِّ يومًا، فأنفذَ الوزيرُ من أخذ حمارَه الذي كان يركبه من غلامه وأدخله إلى المطبخ، وذُبح، وطُبخ لحمُه بماءٍ وملح! وقُدِّم إليه، فظنّ أنّه لحمَ بقرٍ فأكلَه! فلمّا خرج وطلب الحمارَ، قيل: قد أكلتَه! وعوّضه الوزيرُ عنه ووصلَه!(٢).

وذكر الصاحبُ بنُ عبَّاد أنه اقترح عليه وهو ببغداد ألوانًا من الجُواذَابات(٣)، قال: فتقدَّمتُ باتّخاذها والاستكثار منها، وأنفذتُ إليه

(١) وفيات الأعيان (٢/ ١٠٨).

(٢) انظر: التذكرة الحمدونية (٩/ ١٠٤)، ونثر الدرّ في المحاضرات (٢/ ١٨٢)، وشرح نهج البلاغة (١٨/ ٤٠١).

(٣) الجُواذابات: طَعامٌ يُتَّخَذُ مِنْ سُكَّرٍ ورُزٍّ ولَحْم. القاموس المحيط (ص: ٦٦).
قال الزبيدي: ولعَلَّه لِمَا فِيهِ من الجَوَاذِب! وَرُبمَا يَسْبِق إِلى الذِّهْنِ أنه مُعَرَّبُ جُوزهْ آبْ، وَلَيْسَ كذلك. تاج العروس (٢/ ١٤٤).



بالغداة من يمنعه من الأكل إلى أن يحضرَ عندي، فحضر فأكل معي على المائدة مع القوم، حتى استوفى. ثم تفرد بأكل الجُوذاب الذي اتُخذ له، فأكل ثمانيةَ ألوانٍ منها، حتى مسح الأطباق التي كانت عليها! فتعجّبْنا من ذلك! فقال الرسولُ الذي كنت أنفذتُه إليه: إنه شكا في الطريق الجوعَ، وامتنع عن المجيء إلى أن صعد إلى دُكَّان هَرَّاسٍ، فاشترى هريسةً كثيرةً فأكلها!!(١).

❀❀❀

## أبو العالية:

مشهورٌ بكنيته، ولم أقفْ على من سمَّاه.

كان أبو العالية رجلًا أكُولًا، ومن خبر أكْله أنَّ امرأةً حملتْ، فحلفتْ إن ولدتْ غُلامًا لتُشبِعنَّ أبا العالية خَبيصًا(٢)، فولدتْ غُلامًا، فأطعمتْه، فأكل سبعَ جِفانٍ خَبيصًا! ثم أمسك وخرج، فقيل له: إنها كانت نذرتْ أن تُشبِعكَ خَبيصًا، فقال: واللهِ لو علمتُ ما شبعتُ إلى الليل!!(٣).

❀❀❀

(١) نثر الدرّ في المحاضرات (٢/ ١٨٢).
(٢) **الخَبِيصُ**: حلوى تُصنعُ من التَّمْرِ والسَّمْنِ. **انظر**: القاموس المحيط (ص: ٦١٦)، ومختار الصحاح (ص: ٨٧). وقد تقدّم.
(٣) التذكرة الحمدونية (٩/ ١٠٤)، ونثر الدرّ في المحاضرات (٢/ ١٨٣)، وشرح نهج البلاغة (١٨/ ٤٠٢).

# الفصلُ الثالثُ

## لطائفُ وطرائفُ الأَكَلَة



# الفصلُ الثالثُ

## لطائفُ وطرائفُ الأَكَلَة

هـذه بعضُ اللطائـف المتفرِّقـات، من أحـوالِ الأَكَلَـةِ والأكلات، أحببتُ أنْ أختِمَ بها هذا الكتاب.

ولطائفُ هذا الموضوع كثيرةٌ جدًا، لكنني اقتصرتُ هنا على بعضها من باب الإحْماض، ولمْ أراعِ في ترتيبها نَسَقًا معيَّنًا، واللهُ الموفقُ.

❋❋❋

- **قال ابنُ الفقيه عـن بَرَكَةِ المدينة المنوّرة:** «يَكتفي بالمدينة الرجلُ الأَكُولُ بقُرْصَتيْن، ولا يكتفي في غيرها بخمسة أرغفة، وليس ذلك لغِلَظٍ فيه، أو فسادٍ في حَبِّه وطَحْنه، ولو كان كذلك لظهر في التُّخَم»(١).

**قلتُ:** فعلى هذا ينبغي للأَكَلَة في قُطْرِنا أنْ يتّخذوا من المدينةِ سكنًا لهم؛ ليُوفِّروا على جيوبهم كثرةَ الإنفاقِ على بُطونهم!

❋❋❋

- **قال أبو يعلى محمد بن الحسن البصري في عجوزٍ أُكولٍ:**

لـي عـجـوزٌ كـأنها الـ ـبـدرُ في لـيـلـةِ الـمـطَرْ
نـاطـقٌ عـن جميعِ أعـ ـضائِها شـاهِـدُ الكِبَرْ

---

(١) البلدان (ص: ٨١).

غـيـرُ أضـراسِـهـا ففيـ ـهـا لـذي اللُّبِّ مُعْتَبَرْ
أَعْــظُــمٌ غـيـرَ أنـهـا أَعْظُمٌ تَطْحنُ الحَجَرْ![1]

❋❋❋

- دخـل إبراهيـمُ بـنُ المهدي على أميـر المؤمنين المأمـون، وكان إبراهيـمُ أثجلَ (عظيـمَ) البطن، كثيرَ اللحم والشـحم، **فقال له المأمون:** بالله يا عمّ! عَشِقْتَ قَطُّ؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين، وأنا الساعةَ عاشقٌ! قال: وأنتَ على هذه الجثّة والشحم الكثير![2] ثم أنشأ المأمونُ **يقول:**

وجـهُ الـذي يَعـشـقُ مَعْـروفُ لأنــه أصــفــرُ مَـنْـحـوفُ
لـيـسَ كـمـنْ أمسـى لـهُ جُثَّةٌ كـأنـه لـلـذَّبـحِ مَـعْـلـوفُ!

**فأجابه** إبراهيمُ بنُ المهدي:

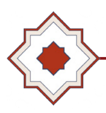
وقـائـلٍ: لسـتَ بـالـمُحِـبِّ، ولو كنـتَ مُحِبًّا لَذُبْـتَ مـن زَمَنِ
فـقـلـتُ: قلبي مُـكَـاتِـمٌ بـدَني حُبِّـيَ، فالحـبُّ فيـه مُخْتَـزَنُ
أَحَـبَّ قلبـي، ومـا دَرَى بـدني ولـو دَرَى مـا أقـامَ في السِّـمَنِ!

**قـال أبو الطيب الوشّـاء:** قولُ إبراهيم: (أحبَّ قلبـي وما دَرَى بدني) مُحالٌ، لا يَعْلَقُ القلبُ فيَسْـلَمُ الجسمُ، ولكنه لاستحيائه قد احتجَّ بحجّةٍ

---

(١) يتيمة الدهر (٥/ ١٠٩).

(٢) جاء في أخبار النسـاء لابن الجوزي (ص: ٦٠) فيمن ادَّعى العشـقَ من السِّـمان!: «وأمّا أهلُ الدّعاوى الباطلة، التي ليسـت أجسـامُهم بناحلة، ولا ألوانُهم بحائلة، ولا عقولُهم بذاهبة، فهم عند ذوي الفِراسة يكذبون، وعند ذوي الظَّرف محرومون».



ضعيفةٍ؛ وأنشدني بعضُ المشْيَخة في مثل ذلك:

وقائلةٍ: ما بالُ جِسْمكَ سالِمًا ... وعَهدي بأجْسَامِ المُحبِّين تَسْقَمُ

فقلتُ لها: قلبي لجِسْميَ لم يَبُحْ ... بحُبّيْ، فجِسْمي بالهوى ليسَ يَعلمُ![1]

- قال شمسُ الدين الجزري عن الخليفة العباسي الناصر لدين الله:

«كان الماءُ الذي يشربه الناصرُ تأتي به الدوابُّ من فوق بغدادَ بسبعة فراسخ، ويُغلَى سبعَ غَلْواتٍ، كلَّ يومٍ غَلْوةٌ، ثم يُحبَسُ في الأوعية سبعةَ أيام، ثم يَشربُ منه! ومع هذا ما مات حتى سُقيَ المُرْقِدَ[2] مراتٍ، وشُقَّ ذَكَرُه، وأُخرجَ منه الحصى! ومات منه يومَ الأحد سَلْخَ رمضان سنة اثنتين وعشرين وستمائة»[3].

***

- قال الجاحظُ عن محمد بن أبي المؤمّل البصري: اشترى مرةً شَبّوطةً وهو ببغداد، وأخذها فائقةً عظيمةً، وغالى بها وارتفع في ثمنها، وكان قد بَعُد عهدُه بأكل السمك. وهو بصريٌّ لا يصبر عنه. فكان قد أكبر أمرَ هذه السمكة، لكثرة ثمنها ولسِمَنها وعِظَمها ولشدّة شهوته لها. فحين ظنّ عند نفسه أنه قد خلا بها، وتفرّد بأطايبها، وحسر عن ذراعيه وصَمَدَ

(١) الموشّى (ص: ٧٨). وبيت إبراهيم بن المهدي الثاني فيه إقواء وهو عيب من عيوب القافية.

(٢) المُرْقِد: دواءٌ مخدِّرٌ يُنوِّمُ شاربَه ويُرْقِدُه، كالأفيون. **انظر**: معجم ديوان الأدب (١/ ٢٩٤)، وتاج العروس (٨/ ١١١)، والمعجم الوسيط (١/ ٣٦٤)، وتكملة المعاجم العربية (٥/ ١٨٦).

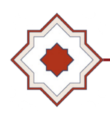
(٣) تاريخ الخلفاء (ص: ٦٩٠).



صَمْدَها، هجمتُ عليه ومعي السدريُّ، فلما رآه رأى الموتَ الأحمرَ والطاعونَ الجارفَ، ورأى الحتمَ المقضيَّ، ورأى قاصمةَ الظهر، وأيقن بالشرّ، وعلم أنه قد ابتُلي بالتنِّين!

فلم يُلْبِثْه السّدريُّ حتى قَوَّر السُّرّةَ بالمبال، فأقبل عليّ فقال لي: يا أبا عثمان، السّدريُّ يعجبه السُّرَر، فما فصلتِ الكلمةُ من فِيه، حتى قبض على القفا فانتزع الجانبين جميعًا! فأقبل عليّ فقال: والسّدريُّ يُعجبه الأقْفاء، فما فرغ من كلامه إلا والسّدريُّ قد اجترف المتنَ كلَّه! فقال: يا أبا عثمان والسّدريُّ يعجبه المتون، ولم يظنّ أن السّدريَّ يعرف فضيلةَ ذَنَب الشّبُّوط وعُذوبةَ لحْمه، وظنّ أنه سيَسْلَمُ له، وظنّ معرفةَ ذلك من الغامض، فلم يدْرِ إلا والسّدريُّ قد اكتسح ما على الوجهين جميعًا! ولولا أن السّدريَّ أبطره وأثقله وأكمده وملأ صدرَه، وملأه غيظًا، لقد كان أدرك معه طرفًا؛ لأنه كان من الأَكَلَة. ولكنَّ الغيظَّ كان من أعوان السّدريِّ عليه!

فلما أكل السّدريُّ جميعَ أطايبها. وبقي هو في النَّظَّارة! ولم يبقَ في يده ما كان يأملُه في تلك السمكة إلا الغيظُ الشديدُ والغُرْمُ الثقيلُ، ظنّ أن في سائر السمكة ما يُشبعه ويَشفي من قَرَمِه. فبذلك كان عزاؤه، وذلك هو الذي كان يمسك بأرماقه وحُشاشات نفسه. فلما رأى السّدريَّ يَفري الفَريَّ ويلتهم التهامًا، قال: يا أبا عثمان، السّدريُّ يعجبه كلَّ شيءٍ!! فتولّد الغيظُ في جوفه، وأقلقته الرِّعْدةُ. فخبُثَتْ نفسُه، فما زال يَقيءُ ويَسْلَحُ،



ثــم ركبتْه الحُمّى! وصحّت توبتُـه وتمّ عزمُه، في أن لّا يُـؤاكِلَ رغيبًا أبدًا ولا زهيدًا، ولا يشتريَ سمكةً أبدًا رخيصةً ولا غاليةً، وإنْ أهدوْها إليه أن لّا يقبلها، وإنْ وجدها مطروحةً لا يمسّها!

فهـذا ما كان حضرني من حديث ابن أبي المؤمّل. وقد مات. عفا الله عنا وعنه![(1)].

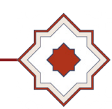
- قال رجلٌ من أهلِ العراقِ في قَيْنةِ حفصٍ الكاتبِ:

قَـيْـنَـةُ حَـفْـصٍ وَيـلَـهـا فيها خِـصـالٌ عَـشَـرَهْ
أوّلُــهـــا أنّ لـهـا وَجهًا قَبيحَ المَنْظَرَهْ
ودارُهــا في وَهْــدةٍ أوسـعُ منها القَـنْـطـرَهْ
تـأكـلُ في مَـقْـعـدِهـا ثَوراً، وتَخْرَى بقرَهْ![(2)]

❋❋❋

- قال أبو علي التنوخيُّ: حدّثني أبو محمد، قال: حدّثني السورجيُّ - شـيخٌ كان يجاورنا مسـتورٌ - قال: كانت لي امـرأةٌ صالحةٌ، فكنتُ إذا اشـتريتُ لحمًا لتطبخه لنا، طبختْه، وغرفتْه جميعَه، وجاءتني به، وكنتُ أكُولًا، فكنتُ آكلُه جميعَه، وتجوع هي وأولادُها! فقلتُ لها: يا هذه، إذا طبختِ شيئًا، فاقسميه قسمين، وجِيئيني بأحدهما، ودَعي الآخرَ لنفسك وأولادك. فقالـت: لا والله، لا أفعـل هـذا، بـل أُقدِّمه إليك كلَّـه، لتأكلَ

(١) البخلاء (ص: ١٣٦).
(٢) العقد الفريد (٦/ ٣٠٠).



أجودَه، فإنّك أنت تُسأل عنه![1].

***

- كان رجلٌ من الأمراء يستظرفُ طُفيليًّا يحضرُ طعامَه وشرابَه، وكان الطُّفيليُّ أكُولًا شَرُوبًا، فلما رأى الأميرُ كثرةَ أكله وشربه اطّرحه وجفاه، فكتب إليه الطُّفيليُّ:

قَدْ قَلَّ أكْلي وقَلَّ شُرْبي وصِرْتُ من بَابَةِ الأميرِ
فَلْيَدْعُ بي وهْوَ في أمانٍ أنْ أشربَ الراحَ بالكَبيرِ![2]

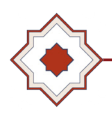
***

- أكل أبو الأسود الدؤليّ وأقعد معه أعرابيًّا، فرأى له لَقْمًا مُنكَرًا؛ فقال له: ما اسمُك؟ قال: لُقمان؛ قال: صدق أهلُك، إنك لُقمان![3].

***

- من الطرائف ما ذُكر عن الشيخ القاضي محمد بن إبراهيم البواردي (ت ١٤٠٤ هـ) من أنه كان يَحضُرُ في صِباه مع زملائه شرْحَ «الرحبيّة» في علم الفرائض عند الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، وكان المكلَّفُ بقراءة الأبيات بين يَدَيْ الشيخ زميلٌ لهم ضَريرٌ، وكانوا يُلقّنون زميلَهم الضريرَ الأبياتَ التي سيقرؤُها حتى يَحفظَها، ثم يقرؤُها على

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة (٣/ ٦٢).
(٢) العقد الفريد (٧/ ٢٢٩).
(٣) عيون الأخبار (٣/ ٢٢٨).



الشيخ في اليوم التالي، وكان للشـيخ شاةٌ يُربِّيها، وكان الطلابُ ينتظرون أن يذبحَها الشـيخُ ليُطعمَهم مـن لحمها، ويهابون أن يطلبوا من الشـيخ ذبحَها، فلما طال عليهم الانتظارُ، احتال البوارديُّ حِيلةً عجيبةً؛ وهي أنه عندما لقَّنَ الضريرَ هذه الأبيات من «الرحبية» :

وَإِنْ تَكُنْ مِنْ أَصْلِهَا تَصِحُّ     فَتَرْكُ تَطْوِيلِ الْحِسَابِ رِبْحُ
فَأَعْطِ كُلّاً سَهْمَهُ مِنْ أَصْلِهَا     مُكَمَّلاً، أَوْ عَائِلاً مِنْ عَوْلِهَا

زاد عليها من نظمه بيتين، أوْهم الضريرَ أنهما من أبيات «الرحبية»، وهي:

وإنْ تكنْ من صَدْرها تَكُحُّ     فإنّ أولى ما يكونُ الذَّبْحُ!
فأعْطِ كُلَّا سهمَه من لحمِها     مكَمَّلًا، أو عائلًا من شحمِها!

يَعني الشاةَ! فقرأهما الضريرُ على الشيخ ظنًّا منه أنهما من «الرحبية»! ففطن الشيخُ لما أرادوا، وضحك، وذبحها وأطعمهم!(١).

❋❋❋

- قيل للتّستريّ: الرجلُ يأكل في اليوم مرةً؟ قال: أكلُ الصدِّيقين، قيل: فمرّتين؟ قال: أكلُ المؤمنين. قيل: فثلاثًا؟ قال: قل لأهلك يبنوا لك مِعْلفًا!(٢).

❋❋❋

---

(١) وانظر: كتاب من طرائف العلماء المعاصرين: لعبد الرحمن الرحمة (ص/ ٦٥).
(٢) شرح مقامات الحريري للشريشي (١/ ٤٢٨).



- وقال محمدُ بنُ عبد الله المتأفِّفُ البغداديُّ: سمعتُ الجُنيد، يقول: وافي أبو حمزة من مكة وعليه وَعثاءُ السفر، فسلَّمتُ عليه وشهَّيتُه، فقال: سِكْبَاجٌ[1] وعصيدةٌ تخلِّيني بهما، فأخذتُ مَكُّوكَ[2] دقيقٍ، وعشرةَ أرطالِ لحم، وباذَنجان، وخَلّ، وأخذتُ عشرةَ أرطالِ دِبْسٍ، وعملنا له عصيدةً وسِكْبَاجَةً ووضعناها في حِيريٍّ لنا، وأدخلتُه الدارَ وأسبلتُ السِّتْرَ، فدخل وأكله كلَّه! فلما فرغ من أكله، قال: يا أبا القاسم لا تعجبْ؛ فهذا من مكةَ الأكلةُ الثالثةُ![3].

❋❋❋

- عشق مدنيٌّ امرأةً، وكان سميناً، فقالت له: تزعم أنك تهواني وقد ذهبتَ طولًا وعرضًا! فقال: إنما سمنتُ من فرط الحبّ؛ لأني آكلُ ولا أشعرُ! وأشبعُ ولا أعلمُ![4].

❋❋❋

- قيل: نزل رجلٌ من الأكّالين بصومعة راهب، فقدَّم له أربعةَ أرغفةٍ، وذهب ليُحضر له عدسًا، فحمله وجاء به فوجده أكل الخبزَ! فذهب وأتى

---

(١) السِّكْبَاجُ: مُعَرَّب عَن سركه باجه، وَهُوَ لحمٌ يُطْبَخ بِخَلٍّ. هذا أَحسنُ مَا يُقَال. تاج العروس (٦/ ٤١).

(٢) تقدّم بيانُ مقدار المكُّوك في ترجمة سليمان بن عبد الملك.

(٣) تاريخ بغداد (٢/ ٢٧٨).

وانظر: طبقات الصوفية للسلمي (ص: ٢٢٨)، وسير السلف الصالحين للأصبهاني (ص: ١٢٧٦).

(٤) البصائر والذخائر (٧/ ١٣٠).



إليه بالخبز وحدَه فوجده أكل العدسَ! ففعل ذلك معه عشرَ مراتٍ! فسأله الراهبُ: أين مقصِدُك؟ فقال: إلى الريّ، فقال له: لماذا قصدتَ؟ قال: بلغني أنَّ بها طبيبًا حاذقًا أسأله عمّا يُصلح معدتي؛ فإني قليل الاشتهاء للطعام!! فقال له الراهبُ: إنَّ لي إليك حاجةً. قال: وما هي؟ قال: إذا ذهبتَ وصَلُحتْ مِعدتُك فلا تجعلْ رجوعَك إليّ ثانيًا!![1].

❋❋❋

- قعد أعرابيٌّ على مائدة المغيرة، فجعل يَنْهَش ويَتَعرّق، فقال المغيرةُ: يا غلام، ناولْه سِكّينًا، قال الاعرابيُّ: كلُّ امرىءٍ سِكِّينُه في رأسه![2].

❋❋❋

- رُوي أنَّ جميلَ بنَ معمرٍ العُذْريّ صحبه رجلٌ من عُذْرة وكان بَطينًا أكُولاً، فجعل يشكو إليه هوى ابنةِ عمٍّ له، فأنشأ جميلٌ يقول:

وقد رابني من جعفرٍ أنَّ جعفراً
مُلِحٌّ على قُرْصٍ، ويشكو هَوى جُمْلِ!
فلو كنتَ عُذْريَّ الهوى لم تَكنْ كذا
بَطينًا! وأنساكَ الهوى كثرةَ الأكْلِ[3]

❋❋❋

(١) نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن (ص: ٣٠).
(٢) العقد الفريد (٦/ ٢٩٩).
(٣) الموشّى (ص: ٦٤).

- أخرج يعقوبُ بنُ سفيان، وابنُ شاهين من طريقه بسنده إلى كريمة زوج المقداد: كان المقدادُ عظيمَ البطن، وكان له غلامٌ روميٌّ، فقال له: أشقُّ بطنَك فأُخرج من شحمه حتى تلطُف؟! فشقَّ بطنَه ثم خاطَه، فمات المقدادُ وهرب الغلامُ![1].

❋❋❋

- قيل للحارثيّ: لم لا تُؤاكِلُ الناسَ؟ فقال: لو لم أترك مؤاكلتَهم إلا لنُزوعي عن الأسواريِّ (اسم رجل) لتركتُها.

ما ظنُّكم برجل (يعني الأسواريَّ) نَهَشَ بَضْعَةَ لحمِ بقرٍ فانقلع ضرسُه وهو لا يدري! وكان إذا أكل ذهب عقلُه، وجَحَظتْ عيناه، وسَكِر، وسَدِر (تحيّر)، وتربّد (تغيّر) وجهُه، وغضب، ولم يَسمع، ولم يُبصِر!

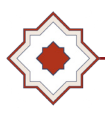
فلما رأيتُه وما يعتريه ويعتري الطعامَ منه صِرتُ لا آذَنُ له إلا ونحن نأكل الجَوزَ والتمرَ والباقلّا.

ولم يَفْجأْني قطُّ وأنا آكلُ تمرًا إلا استفّه سفًّا وزَدَا (رمى) به زَوْدًا! ولا وجده كَنيزًا إلا وتناول القطعةَ منه كجُمْجُمةِ الثّور كَدَمَها (عضّها) كَدْمًا، ونَهَشَها طُولًا وعَرضًا، ورفعًا وخفضًا، حتى يأتي عليها! ثم لا يقع عَضُّه إلا على الأنصاف والأثلاث! ولا رمى بنواةٍ قطُّ، ولا نزع قِمْعًا (ما التصق بأسفل التمرة)، ولا نفى عنه قِشرًا، ولا فتّشه مخافةَ السُّوس والدُّود!![2].

❋❋❋

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (١٠/ ٣٠٨).

(٢) عيون الأخبار (٣/ ٢٢٩).



- قال أبو العلاءِ المعرِّي:

لا يَفقِدَنْ خَيرَكُمْ مُجَالِسُكُمْ ... ولا تَكُونوا كأنّكُمْ سَبَخُ
ولا كَقومٍ حديثُ يَومِهِمُ ... ما أكَلُوا - أمْسَهُم - ومَا طَبَخُوا![1]

❊❊❊

- حُكيَ أنه كان بالمدينة فتىً من بني مخزومٍ وكان أكُولًا، وكان يتعشّق جاريةً ذاتَ أدبٍ وجمالٍ، فكتب إليها ذاتَ يومٍ: جُعلتُ فِداكِ، ابعثي لي بشيءٍ من الخَبيصِ والسِّكْباجِ[2]؛ فإن عندي قومًا من القُرَى. فبعثتْ إليه، ثم كتب إليها بعد ذلك: جُعلتُ فِداك، ابعثي لي بشيءٍ من النبيذ وما يَصلحُ أن يُشربَ عليه من المقالي والمشاوي وما أشبهَ ذلك؛ فإن عندي جماعةً من الفِتيان.

فكتبتْ إليه: أبقاك الله وحفظك. عهدنا الحبَّ يكون في القلب، فإذا فشا دبّ في المفاصل، وحُبُّك أنتَ ما يزول من المعِدة!![3].

❊❊❊

- من الطرائفِ اللطائفِ أنَّ الشيخَ عامرَ الأَنْبُوطِي المصري الشافعي (ت ١١٧٣ هـ) كان من عادته أنه كلّما رأى لشاعرٍ قصيدةً سائرةً قلَبَها وزنًا وقافيةً إلى الأكل والطبيخ! فكان الشعراءُ يخافونه ويتحامَوْن ذلك منه!

(١) اللزوميات (١/ ٣٠٥).
(٢) سبق التعريفُ بهما.
(٣) كنز الدرر وجامع الغرر (٤/ ٣٤٠) بتصرف.

وكان الشــيخُ الشبراويُّ يُكْرِمُه ويَكْسِــيه ويقول له: يا شيخُ عامر؛ لا تُزفِّرْ (مِن الزَّفَـرُ وهو: اللحــم، والأطعمة المطبوخة بالدَّسَــم) قصيدتي الفُلانيّة؛ وهذه جائزتُك!

ومِن بعده الشيخُ الحفنيُّ؛ كان يُكرِمُه ويُغدِقُ عليه ويستأنسُ لكلامه[١].

**ومِن الأنظام والقصائد التي زَفَّرها الأنْبُوطيُّ هذا!:**

**- ألفية ابن مالك!:**

**ومنها قولُه:**

يَـقـولُ عـامـرٌ هـو الأَنْـبُـوطِـي ... أحـمـدُ ربـي لـسـتُ بـالـقَـنُـوطِ
وأسـتـعـيـنُ الله في ألـفـيّـهْ ... مقاصدُ الأكْـل بها مَـحْـويّـهْ!
فيها صُنوفُ الأكلِ والمطاعِمْ ... لَـــذَّتْ لـكـلِّ جـائـعٍ وهـائـمْ
طعامُنا الـضَّـاني لـذيـذٌ للنَّهِمْ ... لحمًا وسَمنًا ثم خُبزاً فالْتقِمْ!
فـإنـهـا نـفـيسـةٌ والأكـــلُ عَــمّ ... مَطاعِمًا إلى سَناها القلبُ أَمّ
والأصـلُ في الأخبـازِ أنْ تُقمَّـرَا ... وجـوّزوا التَّقديدَ إذْ لا ضَـرَرَا!
وامنعـهْ حيـن تَشـويَ الخِرْفانِ ... فـإنـه يُـعـيـقُ أكـلَ الـضَّـــانـي!

**- لاميّة ابن الوردي التي مطلعُها:**

اعـتـزلْ ذكـرَ الأغـاني والـغـزَلْ ... وقُلِ الفصلَ وجانبْ من هَزَلْ

---

(١) **انظر**: عجائب الآثار في التراجم والأخبار (١/ ٣٠٦).



فقد زَفَّرَها بقولِه:

اجتنبْ مَطْعومَ عَدْسٍ وبصلْ — في عَشاءٍ، فهو للعقلِ خَبَلْ!
وعـن البيسـارِ[1] لا تَحفـلْ بـه — تُمسِ في ضعْفٍ وسُقْمٍ وعِلَلْ
واحتفلْ بالضأنِ إنْ كنتَ فتىً — زاكيَ العقلِ ودعْ عنكَ الكسلْ
من كبابٍ وضُلوعٍ قد زكتْ — أكلُها ينفي عن القلبِ العِللْ!

- لاميّة العجم للطُّغرائي، التي مطلعُها :

أَصَالَةُ الرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ الْخَطَلِ — وَحِلْيَةُ الْفَضْلِ زَانَتْنِي لَدَى الْعَطَلِ

فقد زَفَّرَها بقولِه:

أناجِرُ[2] الضأنِ تِرياقٌ من العِلَلِ — وأَصْحُنُ الرُّزِّ فيها مُنتهى أَمَلي!
أكْلي غَداءً وأكْلي في العَشاءِ على — حَدٍّ سَواءٍ إذا اللحمُ السمينُ قُلِي!
فِيمَ الإقامةُ بالأريافِ لا شِبَعي — فيها ولا نُزهَتي فيها ولا جَذَلي
ناءٍ عن الأهلِ خالِ الجَوفِ مُنقبضٌ — كمُعدَماتٍ من جُوعٍ ومن قَشَلِ[3]
فلا خليلٌ بدفعِ الجوعِ يرحمُني — ولا كريمٌ بلحمِ الضأنِ يَسمحُ لي!

(١) البيسـار: يظهر أنه اسمٌ للفول الذي تُعمل به البيصارة. معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية (٢/ ١٨٦).

(٢) الأناجِرُ: مفردها أنجر. وهو وعاءٌ دائريٌّ لا عُروة له. تكملة المعاجم العربية (١٠/ ١٧٣).

(٣) القَشَل: يُكْنى به عن الفقر، وهي كلمةٌ مِصريةٌ عاميةٌ مبتذلَةٌ. تاج العروس (٣٠/ ٢٥٣).

طالَ التلهّفُ للمطعومِ واشتعلتْ        حُشاشتي بحَمامِ البيتِ حينَ قُلِي!
أُريـدُ أكْـلاً نفيسًا أستعينُ به        على العباداتِ والمطلوبِ مِن عَملي!
والدهرُ يفجعُ قلبي من مطاعمِه        بالعَدْسِ والكَشْك والبيسار والبصَلِ!

❋❋❋

- نزل الهيردانُ بنُ مُنازل الـمِنقَري برجل من الصُّلَحاء اسـمُه ثبيتٌ، فأطعمه تمرًا وسقاه لبنًا، ثم أذّن وصلَّى بهم، فقال الهيردان:

تَبيـتُ تُدَهْـدِه القـرآنَ حَوْلـي        كـأنّـك عندَ رأسـي عُـقْـرُبـانُ!
فلـو أطعمتَنـي حَمَـلًا سـمينًا        شَكرتُكَ؛ والطّعامُ له مَكانُ![1]

❋❋❋

- **قال الأصمعيُّ:** اصطحب شـيخٌ وحَدَثٌ من الأعراب، فكان لهما قُـرْصٌ في كل يوم، وكان الشـيخُ مُتخلّعَ الأضـراس، بطيءَ الأكل، فكان الحَدَثُ يَبطشُ بالقُرْصِ ثم يقعد يشتكي العشقَ! ويتضوّرُ الشيخُ جُوعًا، وكان اسمُ الحَدَث جَعفرًا، **فقال الشيخُ فيه:**

لـقـد رابـنـي مـن جـعـفـرٍ أنّ جعفرًا
يَطيشُ بقُرْصِي ثم يَبْكي على جُمْلِ!

---

(١) **انظر:** الحيوان (٤/ ٣٨٧)، وسـمط اللآلي (٢/ ١٠)، ومعجم الشـعراء (ص: ٤٨٨)، وعيون الأخبار (٣/ ٢٥٣)، وربيع الأبرار (٢/ ٢٥٥).
**ومعنى قوله:** تُدَهْدِه: تُدحرج. والعُقْرُبان: العَقْرَبُ الذَّكَر.



فقلتُ له: لو مسّكَ الحُبُّ لم تَبِتْ
بَطينًا، وأنساكَ الهوى شِدّةَ الأَكْلِ!

وقال الحَدَثُ:

إذا كان في بطني طعامٌ ذَكرتُها
وإنْ جُعْتُ يومًا لم تكنْ لي على ذُكْرِ!
ويَزدادُ حُبّي إنْ شَبِعتُ تَجدُّدًا
وإنْ جُعْتُ غابتْ عن فُؤادي وعن فِكْري![1]

❊❊❊

كانت وفاةُ الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنةَ (٢٦١ هـ) بسبب أكلةٍ أكلها!

قال ابنُ الصلاح: «كان لموته سببٌ غريبٌ نشأ عن غَمْرةٍ فِكريةٍ عِلميةٍ!».

ثم روى بسنده عن الحاكم قال: سمعتُ أبا عبد الله محمد بن يعقوب، قال: سمعتُ أحمد بن سلمة يقول: عُقِدَ لأبي الحسين مسلم بن الحجاج مجلسًا للمُذاكرة، فذُكر له حديثٌ لم يعرفْه، فانصرف إلى منزله وأوقد السِّراجَ وقال لمن في الدار: لا يدخلنَّ أحدٌ منكم هذا البيتَ. فقيل له: أُهديتْ لنا سَلَّةٌ فيها تمرٌ، فقال: قدِّموها إليَّ، فقدَّموها، فكان يطلب الحديثَ ويأخذ تمرةً تمرةً يمضغها، فأصبح وقد فَنِيَ التمرُ ووجد الحديثَ!

(١) العقد الفريد (٦/ ٢١٣).

قال الحاكمُ: زادني الثقةُ من أصحابنا أنه منها مرض ومات![1].

**قلتُ:** انظر رعاك اللهُ إلى هذه الغَمرة الفِكرية العِلمية كيف أنستْ هذا الإمامَ نفسَه وما حولَه، فاستغرق يبحث ويفتِّش وهِمتُه مصروفةٌ إلى العلم، وذهنُه مشغولٌ بالطلب والبحث، حتى أفنى ذلك التمرَ، الذي سبَّب له عُسْرَ هضمٍ وإجهادًا لم تَحتملْه معدتُه، فكان سببَ وفاته! وربما كان ذلك التمرُ من النوعِ الحارِّ الذي تُؤذي منه الحبةُ والحبتان، فكيف بسلَّةٍ مَلْيءَ؟! ولكنه العلمُ الذي اختلط بلحومهم ودمائهم، وامتزج بعقولهم وقلوبهم، حتى أنساهم أنفسَهم وما حولَهم، وقد أحسن من قال:

عندَ أهلِ العلمِ للعلمِ مَذاقْ ... فإذا فاتكَ هذا فافتراقْ
هُو إنْ أوتيتَه أسنى النِّعمْ ... هلْ ترى الجُهَّالَ إلَّا كالنَّعَمْ؟!

❊❊❊

- **قيل لأعرابيٍّ:** أيُّ الطعامِ أحبُّ إليك؟ قال: ثَريدةٌ دَكْناءُ من الفُلْفُل، رَقْطاءُ من الحِمّص، ذاتُ حِفافيْن من اللحم، لها جناحان من العُراق (فِدَرُ اللحم)، فأَضربُ فيها كما يَضربُ الوليُّ السَّوْء في مالِ اليتيم![2].

❊❊❊

(١) صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط (ص: ٦٢).
**وانظر:** تاريخ بغداد (١٥/ ١٢١)، وتاريخ دمشق (٥٨/ ٩٤)، وتقييد المهمل وتمييز المشكل (١/ ٥٦)، والتقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد (ص: ٤٤٩).

(٢) البخلاء (ص: ٢٣٤)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٣٧١)، والعقد الفريد (٦/ ٢٩٩).



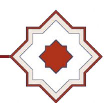
- قلتُ في أكْلَةِ (الكَبْسَةِ)[1] على لِسانِ أحَدِ الأكَلَة:

رَهِـيـبٌ أنـتَ يَـا رُزُّ ... لِأَنَّـكَ عِـنْدَنا كَـنْـزُ!
خُصُوصًا إنْ أَتَى مَعَكُمْ ... خَـرُوفٌ أوْ أتَـتْ عَنْزُ!
وَكَانَ الكَبْشُ مَحْنُوذًا ... وقُطِّعَ حَـوْلَهُ الخُبْزُ!
ودُسَّ بِـهِ أبَـازِيـرٌ ... وَرُشَّ الجَـوْزُ واللَّـوْزُ!
ورافَـقَ ذاكَ بَـطِّـيخٌ ... وتِـينُ الشَّـامِ والـمَـوْزُ
فَـلَسْـتَ تَلُومُني أبَـدًا ... إذا مَـا أَزَّني الأَزُّ!
وطـارَ العقلُ مِنْ فَـرَحٍ ... وصـارَ الـجِسْمُ يَهْتَزُّ
فـهذا الـفَـخْرُ يا صَاحِ ... وهـذا المجدُ والـعِزُّ!
ولـيسَ الـفَـوْزُ إلَّا ذا ... فنِعْـمَ النَّصْـرُ والفَـوْزُ!
فَـإنْ طَـعَنُـوا بما قُلْنا ... فقُولوا لهمُ: ..........!!

❋❋❋

# تَمَّ الكتاب
# بعونِ الـمَلِكِ الوَهَّاب

(١) الكبسة: وجبةٌ مكونةٌ من الرُزّ واللحم أو الدجاج، تشتهر بها دولُ الخليج العربي.



# فِهرسُ المواضيع



❋❋❋